الإعجاز القرآني البياني
في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ

الدكتور فايز صالح الخطيب
جامعة اليرموك/ كلية الشريعة
قسم اصول الدين
إربد- الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

موضوع هذا البحث: (الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ) والتي تبدأ من الآية الخامسة عشرة من سورة النمل، وحتى نهاية الآية الرابعة والأربعين.

بينت من خلال هذا البحث: ما في هذه الآيات الكريمة من إعجاز بياني، وأن هذا القرآن معجز في بيانه ونظمه، وألفاظه وأسلوبه، وأن الحرف الواحد في هذه الآيات معجز في موضعه الذي لا يُغني عنه غيره في تماسك الكلمة، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة، والجملة كذلك في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية، ثم بينت إعجاز هذه الآيات في مقتضيات الحال، وألوان البيان في الجمل الاسمية والفعلية، وفي التعريف والتنكير، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز...إلخ.

ثم أبرزت ما في هذه الآيات الكريمة من دروس وعبر ومواعظ، وما حوته من دلالات وإشارات. وقد تناول هذا البحث: امتنان الله عز وجل على داود وسليمان بإتيانهما العلم، وحمدهما لله على هذه النعم الجليلة، ووراثة سليمان لأبيه داود عليهما السلام، وكلام النملة للنمل، وحوار سليمان للهدهد، ثم قصة سليمان مع الملكة بلقيس، وأخيراً الخاتمة، وأهم نتائج البحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل القرآن شفاءً لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ أشرف ما يقدمه الباحثون، وأسمى ما يسعى إليه المؤلفون في بحوثهم وتآليفهم ما كان في خدمة القرآن العظيم، وعلومه الجليلة وعلى كثرة ما كتب العلماء وألفوه، وعلى كثرة ما تحويه المكتبة الإسلامية من أسفار ضخمة، وكتب نفيسة، خدم بها العلماء كتاب الله الجليل، يبقى القرآن بحراً زاخراً بأنواع العلوم والمعارف، ولا يزال القرآن يتحدى أساطين البلاغة وأساتذة الفصاحة والبيان، بأنه الكتاب المعجز، المنزل على النبي الأمي، شاهداً بصدقه، يحمل بين دفتيه برهان كماله، وآية إعجازه، ولم يلق كتاب مثلما لقي القرآن من الاعتناء به، ونشره وتفسيره وتعليمه، والغوص على أسراره، والتخلق بآدابه، مما لم يعهد التاريخ لغيره، مثل هذه الرعاية والعناية، فهو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلاّ رسوخاً في الإعجاز.

وقد بين العلماء أن هذا الكتاب قد حوى عدة وجوه من الإعجاز، وهي: الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز النفسي والتربوي، والإعجاز الاجتماعي، والإعجاز الغيبي، ثم إعجازه في علومه ومعارفه وحكمه البليغة، وقد اخترت من هذه الوجوه في إعجاز القرآن البياني في آيات قصة سليمان -عليه السلام- مع بلقيس ملكة سبأ، التي تبلغ ثلاثين آية من بداية الآية الخامسة عشرة في سورة النمل حتى نهاية الآية الرابعة والأربعين من هذه السورة فبينت ما فيها من إعجاز بياني، وأن هذا القرآن معجز في بيانه ونظمه، وألفاظه وأسلوبه، وأن الحرف الواحد منه معجز في موضعه، الذي لا يُغني عنه غيره في تماسك الكلمة، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة، والجملة كذلك في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية، ثم بينت إعجاز القرآن في مقتضيات الحال وألوان البيان في الجمل الاسمية والفعلية، وفي النفي والاثبات، وفي الذكر والحذف، وفي التعريف والتنكير، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز، وفي الاطناب والايجاز، وفي العموم والخصوص، وفي الاطلاق والتقييد، فأردت بهذا البحث ابراز إعجاز القرآن البياني في هذه الآيات الكريمة، والوقوف على بعض أسراره البلاغية والإفادة مما في هذه الآيات من عبر شتى، ودروس بليغة نحن في أمس الحاجة إليها، في زمن هجر المسلمون فيه قرآنهم، وغفلوا عن آياته ومواعظه.

وتناولت في هذا البحث: امتنان الله عز وجل على داود وسليمان عليهما السلام وإكرامهما باتيانهما العلم، وحمدهما لله على هذه النعمة العظيمة، ثم وراثة سليمان لداود، وكلام النملة للنمل، وحوار سليمان مع الهدهد، وقصة سليمان مع بلقيس -ملكة سبأ- وأخيراً الخاتمة وأهم نتائج البحث.

تمهيد

قبل البدء في هذا البحث، رأيت أن أقدم للقارئ الكريم، كلمة موجزة عن معجزات الأنبياء، وعن قصص القرآن، وأهدافه وغاياته; استكمالاً للفائدة المرجوة من هذا البحث: إذ ليس المقصود من

إرسال المعجزات مع الأنبياء -عليهم السلام- إعجاز الناس، وإيقاعهم في العجز لذات الإعجاز، بل المقصود منها هو إذعان الناس وإيمانهم بصاحبها أنه رسول من عند الله تعالى.

وكانت كل معجزات الأنبياء السابقين كونية حسية، تنتهي بوفاة النبي الذي جاءت معه أو غيابه، أما معجزته صلى الله عليه وسلم، فكانت معنوية عقلية خالدة تخاطب العقول والأجيال إلى يوم الدين لذا كان نبينا -عليه السلام- أكثر الأنبياء أمّة وأتباعاً مصداق قوله عليه السلام: "ما من الأنبياء نبي إلاّ أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن اكون أكثرهم تابعاً"(١).

وكانت معجزة كل نبي تنبع من بيئته، وتتناسب مع قومه، على وفق ما برعوا به، فمعجزة موسى -عليه السلام- التي كانت في عصاه تتلاءم مع قوم، برعوا في السحر، وجعلوه حِرفة لهم، وقوم عيسى -عليه السلام-، برعوا في الطب، فجاءت معجزته من جنس ما نبغ فيه القوم، وتفوقوا فيه، فكان يحيي الموتى بإذن الله، ومسحة من يده تردّ الأعمى بصيراً، وتبرىء الأكمه والأبرص، ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم كانت أيضاً كذلك، فقد بعث في قوم كان الكلام بضاعتهم، فهم فرسان البلاغة، وأساتذة الفصاحة والبيان، والخطب البليغة زادهم وشرابهم، حتى علّقوا سبع معلقات لهم في الكعبة أعز مكان، وكانت لهم أسواق تشهد بذلك، فكانت معجزته لغوية بلاغية، وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسراراً من الإعجاز البياني واللغوي التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر.

أما قصص القرآن الذي تبلغ مساحته ربع القرآن تقريباً، فجميعه صدق وحق، وحقيقة وواقع، لا خيال فيه ولا تمثيل مصداق قوله تعالى: "إن هذا لهو القصص الحق"(٢) وقوله: "نحن نقص عليك نبأهم بالحق"(٣)، فهو يختلف تماماً عن القصص الذي ورد في الكتب السماوية السابقة بعد تحريفها، حيث أنه يصف الله تعالى بالندم والبداء(٤)، والظهور بصورة البشر، ويصف رسله الكرام بالكذب والمكر والسكر والزنى، إلى غير ذلك مما لا يليق بحقهم، كما أنه يختلف عن قصص الأدباء في هذا العصر الذي يقوم على الخيال والتمثيل.

ولا ننكر أن بعض المفسرين قد أضفى على بعض القصص القرآني أساطير وخرافات عجيبة وغريبة، تخالف العقل، والنقل الصحيح، وسنن الله في الكون، ولكن الله قيّض له علماء غيورين بينوا مثل هذه الأساطير والأباطيل، وفنّدوها، وحذّروا من روايتها أو تصديقها، مما لا يدع مجالاً للشك، بأنها مدسوسة ودخيلة على كتب التفسير، وأنها من الاسرائيليات.

أما أهداف قصص القرآن الكريم: فلم يكن من أجل التسلية أو سرد تاريخ الأمم والأنبياء -عليهم السلام- بل كان أهدافاً سامية، وغايات نبيلة، ومقاصد كريمة، فقد جاء عبرة وعظة وذكرى، مصداق قوله تعالى: "لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولى الألباب"(٥) وقوله عن فرعون: "فأخذه

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن -باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل- حديث رقم (٤٦٩٦) جـ٤/ ١٩٠٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٢.

(٣) سورة الكهف: آية ١٣.

(٤) البداء هو: الظهور بعد الخفاء أو العلم بعد الجهل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٥) سورة يوسف: الآية ١١١.

الله نكال الآخرة والأولى، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى"(٦) وقوله تعالى: "إنا لما طغي الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية"(٧).

وجاء القصص من أجل التنبيه على سنن الله في الاجتماع البشري، وبيان عاقبة ومآل الأقوام حين تحيد عن منهج الله، وتسلك سبل الظلم والضلال; ليكون زاجراً ورادعاً لهذه الأمة عن الإقتداء بالأمم السابقة في عصيانها وتكذيبها للرسل الكرام، وتجنيبها منزلقات ومهالك الأمم الماضية، وجاء القصص من أجل تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم: "وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"(٨) وإظهار صدقه عليه السلام، في دعوته وبما أخبر به من أحوال الأمم الغابرة، عبر القرون والأجيال، وتصديق الأنبياء السابقين، وإحياء ذكراهم، وتخليد آثارهم ثم تثبيت وتعميق العقيدة في نفوس المؤمنين، علاوة على ما في القصص من ضرب من ضروب الأدب والتربية، يصغى إليه السامع، وترسخ عبره في النفس.

نعم الله على داود وسليمان عليهما السلام

وردت آيات قصة سليمان مع ملكة سبأ في سورة النمل، وسورة النمل مكية، أي نزلت قبل الهجرة النبوية، موضوعها الرئيسي أصول العقيدة وهي: التوحيد، والرسالة، والإيمان باليوم الآخر، وما فيه من بعث ونشور، وثواب وعقاب، وهي إحدى سور ثلاث نزلت متتابعة، ووضعت في المصحف متتابعة كذلك وهي: الشعراء والنمل والقصص،(سميت سورة النمل بهذا الاسم، لأن الله تعالى ذكر فيها مقولة النملة التي وعظت بن جنسها، ثم اعتذرت عن سليمان وجنوده، والتي أسمع الله كلامها نبيَّ الله سليمان عليه السلام وفهم كلامها، وتبسم ضاحكاً من قولها، فشكر الله تعالى على ما منحه من الفضل والإنعام)(٩).

ونبدأ حديثنا بعون الله وتوفيقه فنقول:

قال تعالى: (ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين)(١٠).

لقد ذكر القرآن اسم داود وسليمان عليهما السلام ست عشرة مرة، وقد بدأت الآية بواو القسم، أي بمعنى والله لقد آتينا وأعطينا، ووهبنا، تأكيداً على نعم الله عليهما، وعبّر عن هذا التأكيد بالحرف قد: وهو يفيد التحقيق والتأكيد; وبالفعل آتينا مستخدماً صيغة الماضي; لأنها تفيد معنى التأكيد أكثر من صيغة الحاضر; وأكد ثالثة فأدخل حرف التأكيد (قد) على الفعل الماضي (آتينا).

ويلاحظ أن الله تعالى وهو يعبّر بمعاني ودلالات التأكيد على إعطائه نعمة العلم لداود وسليمان، فهو يُثبت ويغرس معالم الإيمان في القلوب، وشواهد التوحيد في العقول، وعلى أنه تعالى هو الواهب وحده للنعم، ولا أحد سواه.

---

(٦) سورة النازعات: الآية ٢٥، ٢٦.
(٧) سورة الحاقة: الآية ١١، ١٢.
(٨) سورة هود: الآية ١٢٠.
(٩) الصابوني، صفوة التفسير، جـ٢/٣٠٤.
(١٠) سورة النمل: الآية ١٥

وقد بدأ نص الآية بداود قبل سليمان; لأن داود أسبق في الخلق والتكليف والنبوة والحكم والحكمة والعلم من سليمان ولده.

وقد ورد الامتنان الرّباني في هذه الآية على داود وسليمان في مجال العلم، وهو التفضل الرباني الأول.

يقول الإمام الشوكاني عند تفسير هذه الآية: (وفي الآية دليل على شرف العلم، وارتفاع محله، وأن نعمة العلم من أجلّ النعم التي ينعم الله بها على عباده، وأن من أوتيه، فقد أوتي فضلاً على كثير من العباد ومنح شرفاً عظيماً)(١١).

فقد ورد لفظ العلم نكرة فقال: (علماً)، ولم يقل العلم، فإن من شأن التنكير التعظيم، لأنه علم نبوءة وحكمة، وقد ورد مثل هذا في القرآن كقوله تعالى: "وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم"(١٢)، فقال: (حكيم عليم)، ولم يقل: الحكيم العليم، وكقوله في صاحب موسى: (وعلمناه من لدنا علما)(١٣).

إن قوله: (علماً) كنكرة يدل على أن ما يؤتاه المخلوق كالإنسان من علم، إنما هو قليل جداً إذا قورن بعلم الله، ولذلك قال تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً)(١٤)، ولذلك حتى لا يغتر أيّ مخلوق إنساناً كان أم جنيّاً بعلمه فيكفر، وما كان كفر إبليس إلاّ كفر علم، جحد وغرور بحق الله في الطاعة رغم ما آتاه الله من علم، وكذلك كان كفر قارون اغتراراً بعلمه، فقد اعطاه الله المال والكنوز وعندما وعظه قومه فقالوا له: (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين)(١٥) استكبر ونسب ما أوتيه من أموال وكنوز إلى علمه وذكائه، وليس إلى ربه، فقال: (إنما أوتيته على علم عندي)(١٦) أي على علم عندي بوجوه المكاسب، ولولا رضى الله عَني ومعرفته بفضلي واستحاقي له ما أعطاني هذا المال(١٧) فكان جزاؤه أن خسف الله به وبداره الأرض جزاءً على عتوّه وبطره. لقد أعطى الله داود وسليمان علماً وخصهما به. قال إبن كثير: (وكان يعرف لغة الطير، والحيوان أيضاً، وهذا شيء لم يعطه أحداً من البشر)(١٨)، فكان بحق علماً غزيراً واسعاً تحققت به لهما سعادة الدنيا والآخرة، ولذلك فقد أوتي داود وسليمان خيراً كثيراً. "وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين".

فقد عطف الحمد على إتيان العلم، وهذا إشعار بأن الحمد الذي قالاه، كان سببه العلم الذي أوتياه، فجاء المُسَبّب وهو الحمد من جنس السبب، وهو إتيان العلم، فإن المسبب يجب أن يكون عظيماً -وهو الحمد-، ولذلك قالا: الحمد لله، ولم يقولا الشكر لله، لأن الحمد اعظم من الشكر، فالحمد هو الثناء على الله بالفضيلة، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر، فالشكر لا يقال إلاّ في مقابلة

---

(١١) الشوكاني (فتح القدير) جـ٤/ ١٢٩.

(١٢) سورة النمل: الآية ٦.

(١٣) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(١٤) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

(١٥) سورة القصص: الآية ٧٦.

(١٦) سورة القصص: الآية ٧٨.

(١٧) الصابوني: (صفوة التفاسير) م٢/ ٣٤٩.

(١٨) تفسير ابن كثير جـ٣/ ٣٥٨.

نعمة، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكراً، ولا يُحمد المرء إلاّ إذا كثرت خصاله المحمودة(١٩)، والحمد أوقع تأثيراً في النفس من الشكر، فالحمد صفة نفسية قلبية عقلية يترك في النفس أثراً، فهو ينبع من قرارة النفس ومن القلب فتجعل الحامد أعلى درجة من الشاكر، وأكثر تجرداً من الأنانية وحب الذات ويكفينا قوله صلى الله عليه وسلم: (الحمد رأس الشكر)(٢٠) وحمد داود وسليمان لله كان هو التفضيل الثاني لهما.

ولقد جاء الحمد معرّفاً وبأل الاستغراقية، ليشمل كل حمد لله تعالى، ويكتب بدلاً منها جاء الحمد مبتدأ في جملة اسمية ليفيد الديمومة والاستمرار والثبات كقوله تعالى بالنسبة لتحية الإسلام: (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلامٌ قوم منكرون)(٢١) فجاء سلام ابراهيم -عليه السلام- مرفوعاً، فكان أبلغ من سلام الملائكة الذي كان مفتوحاً فلو جاء الحمد مرفوعاً وكان فاعلاً في جملة فعلية لما أفاد هذا المعنى.

لقد استغرق حمد داود وسليمان لله تعالى كل حمد، قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم لك الحمد كله ولك الملكُ كله بيدك الخير كله إليكَ يرجع الأمر كله علانيه وسره)(٢٢).

فداود وسليمان حمدا الله، ولم يغتّرا بعلمهما، فكان هذا تواضعاً منهما لله خالقهما، وهو الذي قدّرهما على حمدهما، فكان هذا التواضع وعدم الاغترار بالعلم هو التفضل الإلهي الثالث عليهما والمتمثل في قوله: (الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) وهذا اعتراف منهما أن هناك من هو أفضل منهما، فالآية تدل على أنها فُضّلا على كثير، ونوجز عظمة قوله تعالى على لسانهما: (وقالا الحمد لله) في أربع نقاط:

الأولى: ان عظمة الحمد وهو المسبب جاء من جنس عظمة العلم وهو السبب.

الثانية: ان عظمة الحمد جاءت من كون الحمد ورد معرّفاً بال الاستغراقية ليشمل كل حمد.

الثالثة: إن عظمة الحمد جاءت من كون الحمد ورد مبتدأ في جملة اسمية ليدل على ثباته واستمراره، وهذا عكس الحمد المنصوب الذي يحتاج للتجديد.

الرابعة: ان عظمة الحمد جاءت من ورود الثناء على الله تعالى بكلمة الحمد لا بكلمة الشكر؛ لأن الحمد أعظم من الشكر، على نعمه التي فضلهما بها على سائر خلقه.

إن التفضل الإلهي الرابع على داود وسليمان، يأتي من كون حمدهما لربهما، إنما جاء في معرض الابتداء الرباني لهما فنجحا فيه، وحمدا الله على ابتلائه لهما.

وقد اعترف سليمان بفضل ربه عليه عندما أُحضر له عرش بلقيس، وعدّ ذلك في معرض ابتلاء ربه له، وذلك بقوله: (قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم)(٢٣).

---

(١٩) الراغب الأصفهاني (المفردات في غريب القرآن) كتاب الحاء ص ١٣١.

(٢٠) أخرجه الخطابي في غريب الحديث، والديلمي في الفردوس بسند رجاله ثقات لكنه منقطع، راجع الدر المنثور، السيوطي ١/١١.

(٢١) سورة الذاريات: الآية ٢٥.

(٢٢) مسند الإمام أحمد عن حذيفه بن اليمان جـ٥/٣٩٥، ٣٩٦. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ط٤/١٩٨٣.

إن الكافر قد يحمد الله، ولكنّ حمده غير مقبول، لأنه أفرغ حمده من كل معاني الربوبية، ومن كل معالم الإيمان، فالكافر في الحقيقة لا يحمد الله خالقه، وإنما يحمد إلهه الذي صنعه لنفسه، فاليهود يحمدون إلههم (يهوه)، والنصارى يحمدون إلههم (عيسى) والبوذيون يحمدون إلههم (بوذا) والمجوس يحمدون إلههم (الشمس).

إن الكافر إنما يحمد إلهه الذي فصّله على مزاجه وهواه، ولذلك فحمد الكافر غير مقبول، ومردود عليه.

وغنيّ عن القول: إنّ حمد داود وسليمان وإن سما في معناه، فإنه يبقى حمد مخلوق قاصر عاجز عن الوفاء بحق المنعم لأن الحمد اللائق بالله المنعم الخالق يبقى فوق قدرة المخلوق بل لا تحتمله القدرة البشرية.

وراثة سليمان لداود عليهما السلام:

قال تعالى: (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين)(٢٤).

لقد ورث سليمان أباه داود في النبوة والعلم والحكمة والملك، فكانت وراثة عقيدة وإسلام وإيمان وملك، ولم تكن وراثة مال أو نسب، قال القرطبي: (فقد كان لداود تسعة عشر ولداً فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه، ولو كانت وراثة مال لكان جميع اولاده فيه سواء)(٢٥).

ويقول ابن عاشور: (صاحب تفسير التحرير والتنوير): (فالإرث هنا مستعمل في معناه المجازي، وهو تشبيه الأحوال الجليلة بالمال)(٢٦).

ووراثة غير المال شائعة في الكتاب الكريم، فقد قال عز وجل: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)(٢٧)، وقال سبحانه: (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب)(٢٨).

ولمّا خاف زكريا -عليه السلام- من بني عمه وعشيرته من بعد موته أن يضيّعوا الدّين ولا يحسنوا وراثة العلم والنبوة طلب من ربه أن يرزقه من فضله ولداً صالحاً يتولاّه ويرثه، ويرث أجداده بعد أن كانت زوجته عاقراً لا تلد فقال: (وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا. يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيا)(٢٩).

قال ابن كثير في تفسيره: (المراد وراثة الشرع والعلم فإن الأنبياء لا يورثون المال)(٣٠).

---

(٢٣) سورة النمل: الآية ٤٠.

(٢٤) سورة النمل: الآية ١٦.

(٢٥) القرطبي: تفسير الجامع لأحكام القرآن جـ١٣/ ١٦٤.

(٢٦) ابن عاشور: (تفسير التحرير والتنوير) جـ٩/ ٢٣٥.

(٢٧) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٢٨) سورة الأعراف: الآية ١٦٩.

(٢٩) سورة مريم: آية ٥، ٦.

(٣٠) تفسير ابن كثير جـ٣/ ٣٨٥.

قال صلى الله عليه وسلم: (إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)(٣١).

فلا وراثة بين المؤمن والكافر ولو كان من صلبه لأن الوراثة الحقيقية هي وراثة الدين والتوحيد وليست وراثة النسب.

وهذه الحقيقة يجب أن تتأصل في نفوس المؤمنين إلى يوم الدين. لأن النبي عليه السلام لما قدم المدينة المنورة جعل التوارث بين المؤمنين على أساس أخوّتهم في الدين، كل ذلك ليعلم المؤمنون أن أخوة العقيدة فوق كل الروابط والاعتبارات الدنيوية المادية.

ثم إن سليمان قال: (يا أيها الناس عُلمنا منطق) ولم يقل يا أيها الذين آمنوا; وذلك دلالة على عظمة الشهادة فأراد أن يُشهد الناس جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، تشهيراً لنعمة الله عليه، وتنويهاً بها، واعترافاً منه بفضلها وعظمتها ومكانتها; ودعاءً للناس جميعاً إلى التصديق بذكر معجزة علم منطق الطير، وغير ذلك مما أوتي من عظائم الأمور وعلى رأسها العلم والتسخير والنبوة والحكم.

يقول ابن عاشور: قال سليمان هذه المقالة في مجمع عظيم من الناس الحاضرين في مجلسه من الخاصة والسامعين من العامة(٣٢).

قال: (عُلّمنا) بالجمع ولم يقل: عُلّمت بالمفرد لأنه يتكلم عن نفسه، وعن أبيه داود، أيْ عن آل داود، فناسب المقام الجمع، وقيل غير ذلك(٣٣).

وقال: (عُلّمنا) بصيغة الماضي المبني للمجهول، وليس للمعلوم تواضعاً واعترافاً بأنهما تلقيا العلم من خالقهما، فنسب العلم إلى ربه ولم ينسبه إلى نفسه، وهذا هو العرفان بالجميل للرب خالقهما.

قال: (منطق) ولم يقل: كلام، تشبيهاً له بنطق الإنسان من حيث هو ذو دلالة لسليمان على ما في ضمائر الطير، فحقيقة المنطق: الصوت المشتمل على حروف تدل على معان(٣٤)، فقال: منطق على اعتبار أن الكلام صفة لائقة بمنطق البشر من المخلوقات، ويقول ايضاً ابن عاشور: (والاقتصار على منطق الطير ايجاز لأنه إذا علم منطق الطير وهي أبعد الحيوان عن الركون إلى الإنسان، وأسرعها نفوراً منه، عُلم أن منطق ما هو أكثر اختلاطاً بالإنسان حاصل له بالأحرى، كما يدل عليه قوله تعالى: (فتبسم ضاحكاً من قولها)، فتدل هذه الآية على أنه عُلّم منطق كل صنف من أصناف الحيوان(٣٥) ومن هنا تتجلى النعمة الربانية لسليمان إذ أنه أفهمه

---

(٣١) أورده البخاري كتاب العلم الباب العاشر جـ٢٥/١.

(٣٢) انظر تفسير ابن عاشور جـ١٩/ ٢٣٦.

(٣٣) انظر نفس المرجع السابق جـ١٩/ ٢٣٨.

(٣٤) ابن عاشور، جـ١٩/ ٢٣٨.

(٣٥) نفس المرجع السابق جـ١٩/ ٢٣٧.

منطق الطير، وهو ليس من جنسه فأفهمه وعلّمه ما تقصده هذه الطيور وهذه الحيوانات من أصواتها حيث أن هذه الأصوات تختلف نغماتها باختلاف أغراضها.

فيكون معنى الآية: أن سليمان يشهد الناس كافة على أن اللّه أنعم عليه، وكرّمه، فعلمّه منطق الطير، وأصواتها وجميع الحيوانات أيضاً، وما تقصده من أصواتها إنها نعمة كبرى أنعمها الله على سليمان.

يقول سيد قطب رحمه الله: (وللطيور والحيوان والحشرات وسائل للتفاهم هي لغاتها ومنطقها فيما بينها والله سبحانه خالق هذه العوالم يقول تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيْه الاّ أمم أمثالكم)⁽³⁶⁾ ولا تكون أمماً حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها وذلك ملحوظ في حياة كثير من الطيور والحيوان والحشرات، ويجتهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها، ووسائل التفاهم بينها عن طريق الحدس والتخمين، فأما ما وهبه الله لسليمان -عليه السلام- فكان شيئاً خاصاً به عن طريق الخارقة التي تخالف مألوف البشر، لا عن طريق المحاولة منه والاجتهاد لتفهم وسائل الطير وغيره في التفاهم على طريق الظن والحدس كما هو حال العلماء اليوم)⁽³⁷⁾.

هذه الحقيقة العلمية الكونية، والتي أخبرنا الله بها في قرآنه منذ خمسة عشر قرناً، والتي يتبجح علماء الدنيا في شرق الأرض وغربها أنهم اكتشفوا للطير لغة يتفاهم بها.

نقول لمثل هؤلاء: إن ما وصلتم إليه من اكتشاف لغة الطير والحيوان لا يتعدى الحدس والتخمين والظن ولا يمكن أن يصل إلى يقينية الإعجاز الخارقة الذي تحقق للنبي سليمان في فهمه لمنطق المخلوقات من غير البشر، لأن هذا لم يعط إلاّ لسليمان ولهذا قال: (عُلّمنا منطق الطير)، وستظل معجزة سليمان الإلهية خاصة به إلى يوم القيامة، وإن زعم علماء الطبيعة أنهم فهموا لغة الطير، ووصلوا إلى معجزة سليمان.

(وأوتينا من كلّ شيء) قال: (أوتينا من كل شيء) ولم يقل أوتينا كل شيء. لأن كلّ شيء هو من صفات الكمال، وهذه لله وحده، يقول ابن عاشور في تفسيره: ففي (كل شيء) عمومان: عمومٌ (كلّ)، وعموم (النكرة)، وكلاهما هنا عموم عرفي فـ(كل) مستعملة في الكثرة، و (شيء) مستعملة في الأشياء المهمة ممّا له علاقة بمقام سليمان وهو كقوله تعالى فيما حُكي عن أخبار الهدهد: "وأوتيت من كل شيء)⁽³⁸⁾".

قال سليمان ذلك اعترافاً منه بكثرة ما أوتي، فهو يتكلم عن كثرة ما أعطاه الله له من النعم، وهو لم يعطه النعم كلها ولذلك لم يقل: وأوتينا كل شيء، وقد ورد هذا القول من سليمان في معرض الحمد والشكر لله واهب كل شيء كقول سيد الخلق سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأنا أوّل شافع يوم القيامة ولا فخر)⁽³⁹⁾

---

(٣٦) سورة الأنعام: آية ٣٨.

(٣٧) سيد قطب (في ظلال القرآن) جـ١٨، ٢٦٤.

(٣٨) ابن عاشور: (تفسير التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٣٨.

(٣٩) أورده الإمام مسلم في مختصر صحيحه. كتاب الفضائل. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أناسيد ولد آدم رقم الحديث ١٥٢٤ ص (٤٠٢).

بمعنى شكراً لا فخراً (وأوتينا) وردت بصيغة الجمع، ولا يعني هذا التكبر أو التفاخر، وإنما لأن السياق التعبيري اقتضى ان يتكلم بصيغة الجمع لأنه يتكلم عن نفسه وأبيه. أو لأن النون في أوتينا هي نون الواحد المطاع فجاز التلفظ بها مناسباً لحاله، وصفته كملك وليس التكبر من لوازم ذلك أبداً، قال البيضاوي: (والضمير في أوتينا وعُلّمنا له ولأبيه، أو له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة)(٤٠) (إن هذا لهو الفضل المبين) فهذه الآية مؤكَدةٌ بحرف التوكيد، ولامه الذي هو في الأصل لام قسم وبضمير الفصل، مقصود به: تعظيم النعمة أداءً للشكر عليها بالمستطاع من العبارة.

قال الشيخ محمد علي الصابوني في تفسيره: (أي أن ما أُعطيناه، وما خصّنا الله به من أنواع النعم لهو الفضل الواضح الجليّ قاله على سبيل الشكر والمحمدة لا على سبيل العلو والكبرياء)(٤١).

ومن نعم الله عز وجل على داود عليه السلام:

نعمة تسخير الجبال يرجّعن، ويسبحن معه بكرة وعشيا وكذلك نعمة تسبيح الطير معه، وتليين الحديد له، وكان في يديه كالشمع يصرّفه كيف يشاء، ونعمة صناعة الدروع السابغات(٤٢)، ونعمة تشديد ملكه وتقويته، ونعمة اتيانه الحكمة، وفصل الخطاب، والحكمة هي: النبوة، وفصل الخطاب: التمييز بين الحق والباطل، ونعمة تعليمه منطق الطير، ونعمة استخلافه في الأرض، أما نعم الله على ابنه سليمان عليه السلام: نعمة الذكاء، وإصابة الحكم، وعدالة القضاء، ومصداق ذلك، كما حكم في قصة الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم(٤٣)، ونعمة تسخير الرياح له يصرفها كيف يشاء، فكانت تحمله وجنوده إلى مسافات بعيدة في أزمان قصيرة، ونعمة تسخير الصافنات الجياد(٤٤)، ونعمة إعطائه ملكاً عظيماً واسعاً لا يكون لأحد من بعده، ثم نعمة إسالة عين القطر - أي النحاس المذاب- كما ألأن لداود الحديد، ونعمة تسخير الجن والإنس والطير والشياطين، يعملون له ما يشاء(٤٥)، وكل هذه النعم آيات باهرة ومعجزات عظيمة لداود وابنه سليمان عليهما السلام. فهي نعم عظيمة، وإكرام جليل ظاهر لآل داود.

(وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون)(٤٦)

---

(٤٠) تفسير البيضاوي جـ٤/ ١١٤.

(٤١) صفوة التفاسير: جـ٢/ ٣٠٨.

(٤٢) والدروع السابغات: وهي الدروع التي تغطي لابسها حتى تفضل عنه وتزيد.

(٤٣) وهو الزرع الذي رعته الغنم ليلاً فأفسدته، وقد حكم في هذه القضية داود، وسليمان وكان حكم سليمان الإبن أصوب من حكم أبيه. ارجع إلى آية (٧٨-٩٠) من سورة الأنبياء إن شئت.

(٤٤) وهي الخيول الواقفة على طرف الحافر السريعة الجري. انظر الى الآيات من (٣١-٣٣) سورة ص.

(٤٥) ويتمثل في عمل عجائب المصنوعات الحجرية والمعدنية والزجاجية والرخامية، فكانت تبنى له المحاريب أي القصور الشامخات، قال الحسن البصري: (ولم تكن يومئذ محرّمة، وقد حرّمت في شريعتنا سدّا للذريعة لئلا تعبد من دون الله) انظر تفسير الصابوني: (مختصر تفسير ابن كثير) جـ٣/ ١٢٤.

(٤٦) سورة النمل: الآية ١٧.

قال: (وحُشِرَ) بصيغة الماضي المبني للمجهول، ولم يقل حَشَرَ بصيغة المبني للمعلوم، ليُعلم أنّ الحشر قد تمَّ من الله تعالى القادر المسخّر المسيّر للأمور المستحق للحمد، وليس من قبل سليمان، وهو ليس في مقدوره، وقال: (جنودُه) لِيُعلم أن ما حشر لسليمان إنما هم طوْع إرادته، وخدّامه، ومنفذو أوامره، وبكل ضبط وربط لأن هذه صفات الجندي الأمين يغلب عليه الانضباط والنظام.

وبدأ بالجن قبل الإنس لأنهم أسبق في الخلق من الإنس وأقدر في العمل وأكبر طاقة من الإنس وخاصة في البناء والغوص، والآية جاءت في سياق المعجزة الربانية لسليمان، فجاء الجن قبل الإنس في نظام الحشر. والشيء نفسه بالنسبة للإنسان، فقد وردت كلمة الإنس قبل الطير; لأن الإنس أكثر صبراً على تحمّل المصائب، وأكثر قدرة على تنفيذ الأوامر في ميادين العمل والتكليف.

قال الآلوسي: (ولا يلزم من هذا الحشر للجنود أن تكون جميع الجنود المحشورة، جميع الجن وجميع الإنس وجميع الطير)(٤٧) لأن (مِن) التي وردت في الآية الكريمة تفيد في اللغة التبعيض والقلة، ويفهم من هذا أنه لم يُسخر لسليمان كلّ الجن والإنس والطير; وإنما طائفة منهم فقط.

وقال ابن عاشور: (وفي الآية إشارة إلى أنَّ جَمْعَ الجنود وتدريبها من واجبات الملوك متعهدين لأحوالهم وحاجاتهم، ليشعروا بما ينقصهم ويتذكروا ما قد ينسونه عند تشوّش الأذهان عند القتال وعند النفير)(٤٨) (فهم يوزعون) يعني يضبطون، وينظّمون، ويوقف أولهم ليلحق بهم آخرهم، ويحبس أولهم على آخرهم حتى ينتظم الجيش كله دون أن يتخلف أحد.

كلام النملة للنمل:

قال تعالى: (حتى إذا أتوْا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)(٤٩).

"حتى: هي التي يبتدأ بها الكلام، ومع ذلك هي غاية لما قبلها، وهي هنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى: "فهم يوزعون" فكأنه قيل فساروا حتى إذا أتوْا"....الخ(٥٠).

و (إذا) ظرف زمان بمعنى حين.

قال: (على واد النمل)، ولم يقل إلى واد النمل، وجاء بعلى كحرف استعلاء لأحد سببين:

الأول: إن اتيانهم الوادي كان من أعلى، من فوق، ولذلك قال: على، وهو حرف استعلاء.

الثاني :المراد قطع الوادي حتى آخره، كأن المراد بلوغ آخر الوادي، يقول الشوكاني صاحب فتح القدير: (وعدّي بعلى لأنهم كانوا محمولين على الريح فهم مستعلون، والمعنى أنهم قطعوا الوادي وبلغوا آخره)(٥١)، ويرد على هذا القول: إذا كانوا محمولين فكيف خافت منهم النملة!!. "وكلمة النمل لا تدل إلاّ على فرد واحد من هذا النوع، دون دلالة على تذكير ولا

---

(٤٧) تفسير الآلوسي جـ١٩/ ١٧٣.

(٤٨) ابن عاشور: (التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٤٠.

(٤٩) سورة النمل: الآية ١٨.

(٥٠) تفسير الآلوسي جـ١٧٥/١٩، فتح القدير جـ٤/ ١٣٠.

(٥١) فتح القدير جـ٤/ ١٣٠.

تأنيث، فقوله نملة مفاده: قال واحد من هذا النوع، قالت: هنا بعلامة التأنيث لمراعاة اللفظ فقط، على أنه لا يتعلق غرض بالتمييز بين أنثى النمل وذكره"(٥٢).

(قالت نملةٌ) يُفترض أنها الرئيسة، المشرفة، المسؤولة عن موكب النمل السارح في الوادي، (وقد سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال)(٥٣)، فالنملة تتكلم، وجماعة النمل تسمع وتفهم قولها، وإلاّ لكان كلام النملة عبثاً، وهو غير معقول، وخاصة أنه لا عبث في القرآن.

(وهنا خارقتان: خارقة إدراك سليمان لتحذير النملة قومها وخارقة إدراك النملة أنّ هذا سليمان وجنوده)(٥٤)، ولكن كيف أسمعت هذه النملة رفيقاتها، ويجيب عن هذا السؤال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره فيقول: "فنصحت هذه النملة وأسمعت النمل إما بنفسها، ويكون الله قد أعطى النمل أسماعاً خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب، وإما إنها خبّرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع"(٥٥)، فالنمل له لغةٌ تخاطب، وهذه ليست خاصة بالنمل، وإنما لجميع أصناف المخلوقات، سواء التي تدبّ على بطنها أو على رجليْن أو على أربع تتفاهم فيما بينها، وكل صنف له لغته يتفاهم أفراده بها، وهذه حقيقة علمية كونية نزلت مع القرآن يوم أن نزل، أقول ذلك ردّاً على علماء الطبيعة الذين أعلنوا منذ زمن قصير أنهم اكتشفوا أن للطير لغة، وأن للحشرات لغة تتخاطب بها، إنهم لم يأتوا بجديد، فهذه حقيقة يقينية بالنسبة لنا، ومقطوع بها، وكل ما جاءوا به هو أنهم أكدّوا هذه الحقيقة، والتي بالنسبة إليهم تبقى غير يقينية، وعلموها بالحدس والتخمين والقياس والملاحظة ليس إلاّ.

(قالت نملة.... وهم لا يشعرون) وهنا جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهمها لذلك الخطاب، ولم يقل: يا نمل، أو يا بعض النمل، فجاء النداء بألْ الاستغراقية ليشمل نداؤها جميع النمل دون استثناء، وهذا يقرر مبدأ المساواة في التعامل، ودون أيّ تمييز بين نملة وأخرى، فالنداء عام للجميع لأخذ الحذر من الخطر الداهم، والأخذ بأسباب الأمان، لأن من حق الجميع على الرئيس ان يساوي بينهم في التعامل والنصيحة والإرشاد. يقول الشيخ المراغي في تفسيره: (وفي هذه الآية تنبيه إلى هذا لايقاظ العقول إلى ما أُعطي النمل من الدقة وحسن النظم والسياسة، فإن نداءها لمن تحت أمرها، وجمعها لهم ليشير إلى كيفية سياستها وحكمتها وتدبيرها لأمورها، وأنها تفعل كما يفعل الملوك، وتدبّر وتسوس كما يسوس الحكام، ولم يذكره الكتاب الكريم إلاّ ليكون أمثالاً تضرب للعقلاء فيفهموا حال هذه الكائنات، وكيف أن النمل أجمعت أمرها على الفرار خوفاً من الهلاك، كما تجتمع على طلب المنافع، وإن أمة لا تصل في تدبيرها إلى مثل ما يفعله هذا الحيوان الأعجم; تكون أمة حمقاء تائهة في أودية الضلال، وهي أدنى حالاً من الحشرات والديدان (ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)(٥٦).

---

(٥٢) ابن عاشور (التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٤١.

(٥٣) الزمخشري (تفسير الكشاف) م٣/ ٢٤٠-٢٤١، وتحديد هذه المسافة لا دليل عليه.

(٥٤) سيد قطب (في ظلال القرآن) ج٦/ ٢٦٨.

(٥٥) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) جـ٥/ ٥٦٩.

(٥٦) تفسير المراغي جـ١٩/ ١٢٩ بتصرف. والآية (٣٥) من سورة النور.

إن لنا في مملكة النمل لعبرة تسودها مبادئ التكافل والتعاون، ومظاهر الرحمة، ومعالم الجديّة، وشواهد العمل الدؤوب، وبكل اتقان واخلاص بعيداً عن التواكل والكسل والخمول، وكان حريّاً بهذا الإنسان أن يقتدي بالنمل ويأخذ بأسباب الجدية والاخلاص في العمل، وأسباب الاتقان والتنظيم والضبط.

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة: مبدأ حسن الظن والتماس العذر للآخرين، والذي تضمنه قوله تعالى على لسانها: "وهم لا يشعرون". لقد حذرت من قدوم سليمان وجنوده، وحذرت من أن يُحطم النمل، ولكنها في الوقت نفسه التمست العذر له، وبأنه لا يضمر العداوة لطوائف النمل ولا ينوي تحطيمهن "فوسمته وجنوده بالصلاح والرأفة، وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل لكل مخلوق لا فساد منه أجراه الله على نمله ليعلم شرف العدل ولا يحتقر مواضعه، وأن من ولي الأمر، إذا عدل سرى عدله في سائر الأشياء"(٥٧).

فهي تحذر ولا تتهم، وترعى رفيقاتها، ولا تسيء الظن بسليمان، وخاصة أن الذي ساعدها على ذلك: علمها بنبوّة سليمان، وأن الأنبياء لا يعتدون، وكذلك ايمانها(٥٨)، والمؤمن يحسن الظن، ويلتمس العذر للآخرين، فهي أحسنت الظن بالله من قبل، ومن لا يحسن الظن بالخالق لا يحسن الظن بالمخلوق.

فهذه النملة جمعت الشفقة والرحمة على رعيتها، وجمعت كذلك بين مبادئ وجوب القيام بالرعاية وحسن الظن، وبين قواعد التحذير والاعتذار.

قال تعالى: (فتبسم ضاحكاً من قولها وقال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)(٥٩).

قال: (فتبسم ضاحكاً) ولم يقل: فتبسم فقط، ولم يقل: ضاحكاً فقط، لأن التبسم وحده، يكون لأمر غير ذي بال، ولأن الضحك وحده يكون للاستهزاء، وعدم التصديق، فجمع بين التبسم والضحك ليؤكد على أهمية وسمو، وقيمة ما كان سبباً للتبسم والضحك وهو ما جاء في قول النملة.

وكذلك لم يقل ضحك تبسماً، ولم يقدم الضحك على التبسم لأن التبسم عادة يسبق الضحك، ويعدّ هذا غاية في الإعجاز البياني، وفي استخدام الألفاظ الدالة على معانيها، وفي محلّها، فيكون معنى: "فتبسم ضاحكاً" أي تبسم شارعاً في الضحك، وآخذاً فيه; يعني أنه قد تجاوز جدَّ التبسم إلى الضحك.

---

(٥٧) ابن عاشور، (التحرير والتوير) جـ١٩/ ٢٤٣.

(٥٨) والنمل كله مؤمن، وكذلك كل الدواب والحشرات، ونملة سليمان منها فلا عجب أن تسجد كل الدواب لربها خالقها، فقد وردت كلمة الدواب معرّفة بأل الاستغراقية لتشمل بالايمان جميع أصنافها حيث يقول الله تعالى: (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمسُ والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) "الحج: آية ١٨". لقد اثبتت هذه الآية الكريمة شمولية الإيمان بلا استثناء لجميع المخلوقات ومنها النمل، ما عدا الثقلين –الجن والإنس- فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، وجاءت الإشارة في هذه الآية باسم الموصول (مَن) ليشمل جميع مخلوقات الله في السموات والارض، وكذلك أشارت الآية بأل الاستغراقية إلى الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب فكل هؤلاء مؤمنون.

(٥٩) سورة النمل: الآية ١٩.

"وكذلك ضُحْك الأنبياء -عليهم السلام-، ولذلك فإن ما رُويَ أن رسول الله صلى الله علي وسلم ضحك حتى بدت نواجذه، فالغرض منه المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي; وإلاّ فبدوّ النواجذ على الحقيقة، إنما يكون عند الاستغراب"(٦٠).

ولو أوجزنا الذي أضحك سليمان عليه السلام من النملة لقلنا ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تقواه ورحمته وعدله، وكذلك جنوده، وعدم طغيانه وظلمه، وتتجلى معالم تقواه ورحمته، ونيته الطيبة في عدم الاعتداء مع أنه كان قادراً عليه; لأن الله أعطاه من أسباب الملك والحكم والقوة ما لم يعطه الملوك الآخرين، ومع ذلك كان رحيماً عادلاً، غير ظالم وغير مسيء إلى ايّ من المخلوقات حتى ولو كانت حشرات كالنمل، وقد أكدّ قولها: (وهم لا يشعرون) هذه المعاني الفاضلة، وهذه الصفات الحميدة، وبمعنى أنهم لو شعروا لم يفعلوا، فالنملة تشهد على عدل ورحمة سليمان وجنوده فجاء تحذيرها لهنّ بدخول مساكنهن مصاحباً تماماً لشهادتها على تقواه، ونفيها عنه وعن جنوده نيّة الاعتداء أو القتل أو التحطيم ومن أجل هذه المعاني السامية تبسَّمَ سليمان ضاحكاً من قولها.

الأمر الثاني: تقواها ورحمتها وشفقتها على رعيتها، مما يدل على أن هذه النملة الرئيسة هي مثال الرئيس المؤمن الأمين المخلص في رئاسته واشرافه، وكذلك مثال الحامي والمدافع الغيور على رعيته، فكانت خير مثال على المتصف بمثل هذه المعاني والصفات الحميدة والتي لا تتحقق في الكثير من بني البشر، ولأجل هذه المعاني، ومثل هذه الصفات الواردة في قولها (وهم لا يشعرون) تبسم سليمان من قولها ضاحكاً.

الأمر الثالث: سروره وفرحه بعظم ما أنعم الله عليه، وما آتاه إيّاه، ومنه قوة إدراكه وسمعه ما همست به النملة لرفيقاتها، وإحاطته تماماً بمعنى ما همست وتكلمت به، وبكل وضوح، وكله تزكية له ولجنوده، فضحك من قولها، وفي الوقت نفسه عَظّم نعمة الله عليه، وقدّر فضل الله عليه.

وهنا يُبتلى الإنسان المنعم عليه بنعم ربه، فلم يكفر ولم يغتر، ولم يبطر ولم يبتعد عن ربه المنعِم، وعلى العكس من ذلك ازداد من الله قرباً، وشكره بدعاء يليق بجلال المنعم، ويناسب حال المنعَم عليه، ويلائم حال الشيء المنعم به، فقال: (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ).

يقول الشيخ المراغي عند تفسير قوله تعالى: (فتبسم ضاحكاً من قولها...إلخ)، (فضحك متعجباً من حذرها وتحذيرها، والهداية التي غرسها الله فيها، مروراً بما خصّه الله من فهم مقاصدها وقال رب ألهمني أن أشكر نعمتك)(٦١). فسليمان عليه السلام طلب من ربه ثلاثة أمور:

١. أن يلهمه الله تعالى ويوفقه لشكر نعمائه وأفضاله التي أنعمها عليه وعلى والديه.

---

(٦٠) تفسير الزمخشري جـ٣/ ١٤٢.

(٦١) تفسير المراغي جـ١٩/ ١٢٩.

٢. أن يوفقه لعمل الخير الذي يحبه الله ويرضاه.

٣. أن يدخله الجنة مع عباده الصالحين.

قال الزمخشري: (وحقيقة أوزعني: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكراً لك)(٦٢).

كما يقول سيد قطب رحمه الله: (بهذا النداء القريب المباشر المتصل أوزعني، اجمعني كلي، اجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناني وخواطري وخلجاتي وكلماتي وعباراتي وأعمالي وتوجهاتي، اجمعني كلي، اجمع طاقاتي كلها أولها على آخرها، وهذا هو المدلول اللغوي لكلمة أوزعني لتكون كلها في شكر نعمتك عليّ وعلى والديّ)(٦٣). فتكون حقيقة أوزعني: الهمني ووفقني وقدّرني وأعنّي وساعدني على شكر نعمائك وأفضالك التي أنعمتها عليّ وعلى والديّ.

ولقد أدرج ذكر والديْه، لأن النعمة على الولد نعمة على الوالديْن، خصوصاً نعمة الدين والإيمان والصلاح، فالولد إن كان تقياً نفع والديْه بدعائه وشفاعته، ودعاء المؤمنين لهما. وقوله: (وأن أعمل صالحاً ترضاه) وهو أيضاً نعمة من نعم الله يدعو به المرء المؤمن، وهو فضل من الله يؤتيه لمن يشكره على نعمائه، وسليمان هو الشاكر هنا يدعو ربه أن يرزقه من الأعمال الصالحات، ويوفقه إلى كل عمل صالح يرضى به عنه ربه، وعلى اعتبار أن العمل الصالح يبقى من نعم الله العظيمة التي تستحق الدعاء لها.

وقوله: (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)، أي وفقني برحمتك أن أكون فرداً في مجموع عبادك الصالحين، وأكون منهم ومعهم حتى ندخل الجنة برحمتك وتوفيقك. وقال: (في عبادك الصالحين) ولم يقل مع عبادك الصالحين; لأن في ذلك إعجازاً أكثر في البيان، وفي الرحمة، فبالنسبة للبيان: فإن عبارة: (في عبادك الصالحين) تفيد إظهاراً للعبودية لله أكثر، وتواضعاً لله أكبر، وتفيد حسن الظن بالله، والإخلاص له في الدعاء، فيكون بدعائه: (في عبادك) رجاءً منه إلى الله أن يجعله في داخل، ومن بين، وفي زمرة الصالحين كفرد منهم، ويتساوى معهم في حسن الصلاح والإيمان والثواب.

وبالنسبة للرحمة: فإن (في عبادك الصالحين) تفيد طلب الرحمة من الله، وبكل إذلال وخشوع له، ورجاء منه إلى الله أن يكون من بين، وفي زمرة، وفي جملة من وسعتهم رحمة الله، فكان الرجاء أن يدخله في عباد الله المرحومين من جنس دعائه، (وأدخلني برحمتك) هو على اعتبار أن نعمة الله المرجوّة: بأن يكون من المرحومين الصالحين هي مُسبَّب لسبب سابق من جنسها هو دعاؤه بالقول: (وأدخلني برحمتك) وفي كل هذا صريح إذعان وإذلال وخشوع وخضوع من سليمان لربه، وإن قوله: (وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فيه إقرار واعتراف من سليمان بأن تحقيق الهداية والصلاح والخير ودخول الجنة لا يكون إلاّ برحمة الله تعالى، فالعمل مهما عَظُمَ، فلوحده، ومن دون رحمة الله، لن يدخل صاحبه الجنة وهذا ما أكده الرسول عليه السلام بقوله:

---

(٦٢) تفسير الزمخشري جـ٣/ ١٤٢.

(٦٣) سيد قطب (في ظلال القرآن) جـ١٨/ ٢٦٧-٢٦٨.

(لن يدخل أحدُكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا)(٦٤).

وهذه نعمة إيمانية أخرى أنعمها الله على سليمان بألاّ يغتر بما أوليَ من مُلْك وعلم، ومال، وإيمان وعبادة، وعمل، فقال: برحمتك، ولم يقل بعلمي أو بعملي، ومثل هذا الإعجاز في البيان والرحمة واردٌ في سياق قوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)(٦٥)، أيْ تُبَشرُ نفس المؤمن عند الاحتضار ويُقالُ لها: ادخلي في زمرة عبادي الجنة بأذن الله فتزداد غِبطة وسروراً، ومن ثم يكون الموت وما بعده أفضل لها من الدنيا وأكثر سعادة.

وقوله تعالى أيضاً: "رب فلا تجعلني في القوم الظالمين"(٦٦). قال ابو حيان: (ومعلوم أنه عليه السلام معصوم عما يكون سبباً لجعله من الظالمين، ولكنه أمر أن يدعو بذلك إظهاراً للعبودية وتواضعاً لله)(٦٧).

وبهذا الدعاء: (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) يختم سليمان حكايته مع النملة، ويبدأ حواره مع الهدهد.

حوار سليمان مع الهدهد:

قال تعالى: "وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. لأعَذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين"(٦٨).

قال: (وتفقد)، ولم يقل طلب، لأن التفقد طلب ما غاب عن الإنسان، فكان اللفظ: تفقد مناسباً لغياب الهدهد. ولو كان حاضراً لقال: طلب، أمر.
قال: (فقال ماليَ لا أرى الهدهد) بمعنى أنه لا يراه لساتر ستره عنه، ولكن عندما علم أنه غائب فعلاً، قال: (أمْ كان من الغائبين) أم: منقطعة، بمعنى (بل) أي بل هو غائب.
وتفيد (بل) التأكيد والتحقيق أن الهدهد هو غائب، فيكون المعنى أي لمَ لا أرى الهدهد ههنا؟ بل هو غائب(٦٩).

يقول المفسرون: كانت الطير تصحبه في سفره، وتظله بأجنحتها، فلما فصل عن واد النمل، ونزل في قفر من الأرض، عطش الجيش عطشاً شديداً، فسألوه الماء وكانت وظيفة الهدهد أن يدلهم على الماء، وكان يراه من تحت الأرض، فتأتي الشياطين، وتشق الأرض وتستخرج الماء.

ويقول صاحب الظلال عن هذا الهدهد العجيب: فهو إذن هدهد خاص بشخصه وذاته، وقد يكون هو الذي سخر لسليمان من أمّة الهداهد، أو يكون صاحب النَوْبة في ذلك الموكب من المجموعة

---

(٦٤) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب المرضى باب ١٩ نهي تمني المريض الموت برقم: ٥٣٤٩.

(٦٥) سورة الفجر: الآية من ٢٧-٣٠.

(٦٦) سورة المؤمنون: الآية ٩٤.

(٦٧) أبو حيان: (تفسير البحر المحيط) جـ٦/ ٤١٩، ٤٢٠.

(٦٨) سورة النمل: الآية ٢٠، ٢١.

(٦٩) ابو حيان: (تفسير البحر المحيط) جـ٦/ ٤٢٠.

المحدودة العدد من جنسه، ويصف هذا الهدهد بأنه كان موهوباً إدراكاً خاصاً عن بقية الهداهد، والطير فيقول: فإن نوع الادراك الذي ظهر من ذلك الهدهد الخاص، في مستوى يعادل مستوى العقلاء الأذكياء الاتقياء من الناس(٧٠).

وتفقُد الجند، من شعار الملك والأمراء، وهو من واجبات ولاة الأمور تفقد أحوال الرعية، وتفقد العمال ونحوهم بنفسه، ويؤخذ من هذا جواز عقاب الجندي إذا خالف ما عُيّن له من عمل أو تغيّب عنه(٧١).

إن افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والحزم، فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطير، ويَعلمُ الجميع من سؤال سليمان عن الهدهد أنه غائب بغير إذن! وحينئذ يتعين أن يُؤخذ الأمر بالحزم كي لا تكون الأمور فوضى! ومن ثم نجد سليمان الملك الحازم يتهدد الجندي(٧٢).

"وأكدّ عزمه على عقابه بتأكيد الجملتين "لأعذبنه-لأذبحنه" باللام المؤكدة التي تُسمّى بلام القسم، وبنون التوكيد، ليعلم الجند ذلك، حتى إذا فقد الهدهد، ولم يرجع، يكون ذلك التأكيد زاجراً لباقي الجند عن أن يأتوا بمثل فعلته، فينالهم العقاب"(٧٣).

وقال: (لأعذبنه)، ولم يقل لأذبحنه، فبدأ بالتعذيب الشديد قبل الذبح، لأن التعذيب الشديد، أشد وأمرّ من الذبح فالتعذيب موت في كل لحظة ومتكرر دون أن تفارق الروح الجسد، أما الذبح فهو الموت مرة واحدة، فيكون أخف من التعذيب، وقد ورد هذا المعنى في السياق القرآني عندما تحدث عن عذاب الكفار، ووصفه بأنه الموت المتكرر، وليس الموت مرة واحدة فقال تعالى: "ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميّت"(٧٤).

وإذا قيل لماذا هذا التعذيب الشديد، ومن قِبل نبيّ من المفروض أن يتصف بالرحمة والعطف؟!.

نقول: إن الشدة مع العدل رحمة، فالهدهد ارتكب خطيئة بغيابه دون إذن سليمان، والأهم أن الأمر ليس من السهولة بمكان، فالقضية ليست فردية، وإنما قضية أمّة، قضية مملكة، فإذا تم التسامح عن الأخطاء الفردية، عمّت الفوضى، وحصل ما لا يحمد عقباه، وفضلاً عن ذلك فإن سليمان استثنى العقاب بالسلطان المبين، أي العذر والحجة الواضحة فقال: (أوليأتينّي بسلطان مبين)، وهذا يدل على وجود الرحمة عند سليمان مع الشدة، وأنه قد احتاط لنفسه، وتعذيب سليمان -عليه السلام- للهدهد، قد أحلّه الله، كما أحلّ له ولغيره ذبح الطيور والبهائم، وجاء حلّ التعذيب أيضاً لأنه قد يكون جزءاً من سياسة التأديب والتربية والتعليم والاتعاظ.

والآن بقي علينا أن نعلم لماذا جاءت جملة: (أو ليأتيني بسلطان مبين) مؤكَّدة، والجواب: (فلإفادة تحقيق أنه لا منجى له من العقاب إلاّ أن ىأتي بحجة تبرر تغيّبه، لأن سياق تلك الجملة يفيد أن

---

(٧٠) انظر في ظلال القرآن جـ١٨/ ٢٦٦.

(٧١) ابن عاشور: (تفسير التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٧٢) انظر في ظلال القرآن بتصرف جـ١٨/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٧٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٤٧.

(٧٤) سورة ابراهيم: الآية ١٧.

مضمونها عديل العقوبة. فلما كان العقاب مؤكّداً محققاً، فقد اقتضى تأكيد المخرج منه إلاّ تحقيق الإتيان بحجة ظاهرة لئلا يتوهم هوادة في الإدلاء بالحجة، فكان تأكيد العديل كتأكيد معادِله)(٧٥).

قال تعالى: "فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين)(٧٦).

قال: (فمكث) ولم يقل: فلبث، لأن المكث يُعبّر به ويستخدم للمدد القصيرة، في حين أن اللبث يكون للمدد الطويلة، فكان هذا غاية في الإعجاز البياني لأن الهدهد في وقوفه أمام سليمان ومحاكمته لم يدم طويلاً، ولهذا عَبّر عن حاله بلفظ (مَكَثَ).

أما بالنسبة للمُدد الطويلة فإن القرآن يعبر عنه بلفظ (لبث) كما في قوله تعالى: "ولبثوا في كهفهم ثلاث مِئةٍ سنين وازدادوا تسعاً"(٧٧).

وكقوله تعالى عن مكث نوح في قومه: "فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً"(٧٨) ومكث الهدهد زماناً غير بعيد، فقال: (أحطتُ بما لم تحط به)، ولم يقل: علمت، لأن أحطت أبلغ من علمت، فإن الإحاطة بالشيء تعني الإلمام به، والعلم به تمام العلم. فكأن الهدهد، وهو أضعف مخلوقات الله من الطيور يتحدّى سليمان في علمه فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة، والحكمة، والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاءً له في علمه، وتنبيهاً لسليمان ولغيره، أن في أدنى خلق الله وأضعفه من أحاط بعلم أكثر من علم سليمان، حتى تتصاغر نفسه أمام الله، وألاّ يغرّه علمه فيزداد تواضعاً لمن خلقه وأنعم عليه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة(٧٩)، والتي تؤدي إلى كفر نعمة العلم في كثير من الأحيان.

إنه التعليم الإلهي لأنبيائه الذين هم خير خلقه من البشر أن ما أوتوه من العلم أقل من القليل إذا قورن بعلم الله، فهذا نبي الله موسى عليه السلام من قبل سليمان -عليه السلام- لما زكىّ نفسه، وادعى أنه أعلم من في الأرض، أرسله الله إلى من هو أدنى منه مرتبة -وهو الخضر- ليتلقىّ منه العلم. كما قص الله تعالى علينا في سورة الكهف.

قال: (وجئتك)، ولم يقل: أتيتك، ليعلم أن ما رآه، وجاء به، وعلمه، إنما هو بوحي ربّاني، وليس مصادفة ومن عنده فقط، ولذلك لم يقل أتيتك، لأن الإتيان يكون باجتهاد من النفس.

قال: (مِنْ سبأ) بتحديده البلد دليل على ثقته بنفسه، وبما جاء به، وهذا أقوى في التصديق لو قال: من بلاد أظنها سبأ، فالظن لا يعني الحقيقة دوْما، ومن ثَمَّ لا يعني صِدْقه جزماً.

قال: (بنبأ يقين) لم يقل بخبر، لأن أهميته يتناسب التعبير عنها بكلمة نبأ، لأن النبأ هو الخبر الهام، ولم يقل: (بنبأ) فقط، وإنما قال (بنبأ يقين) ليعلم سليمان أن ما جاء به من خبر بلقيس، هو عين الحقيقة والصدق، وهنا يُطمئنُ الهدهدُ نفسه، بصدق ما جاء به، ويُطمئنُ سليمانَ على حقيقة ما جاء به ليعذره، ويقبل منه، ويقتنع بسبب غيابه، وقول الهدهد (بنبأ يقين) هو ردّ على سليمان الذي قال: (بسلطان مبين)، وقوله: (من سبأ بنبأ يقين) يعدّ من جنس الكلام الذي يسميه علماء

---

(٧٥) ابن عاشور: (تفسير التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٤٧.

(٧٦) سورة النمل: الآية ٢٢.

(٧٧) سورة الكهف: الآية ٢٥.

(٧٨) سورة العنكبوت: الآية ١٤.

(٧٩) انظر تفسير الزمخشري جـ١٤٣/٣ بتصرف قليل، وانظر تفسير أبي السعود ج٣٨٠/٥.

اللغة البديع، وهو من محاسن الكلم الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يأتي من العالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعني وسداده(٨٠). ومن أعلم باللفظ القرآني من الله الذي أنزل هذا اللفظ، فجاء كلامه في الآية مما حَسُن وبدع لفظاً ومعنى.

ولو قال: بخبر لصح المعنى أيضاً، ولكن قوله: بنبأ "كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال"(٨١)، وهو أهميّة، وعظم وخطورة الخبر ولذلك من أجل هذه الأهميّة وهذه العظمة الخبرية قال: (بنبأ يقين) أي خبر عظيم وهام، لاشك فيه.

وقال تعالى: (إني وجدت امرأة تمِلكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم)(٨٢) هذه الآية استئناف ببيان ما جاء به من النبأ، وتفصيل له إثر الإجمال(٨٣) فلذلك لم تُعطف، وإدخال (إنَّ) في صدر هذه الجملة لأهمية الخبر، إذ لم يكن معهوداً في بني اسرائيل أن تكون المرأة ملكاً(٨٤) فوجه العجب عند الهدهد أن الملوك عادة من الرجال وأن النساء لا يصلحن لإدارة الممالك وهذا هو منطق الفطرة.

قال: (إنّي وجدت) ولم يقل: إني رأيت، أو سمعت، أو علمت وذلك تأكيداً على حقيقة ما جاء به من خبر بلقيس. لأن (وجدت) تعني العلم بجميع الحواس، بالرؤية، والسماع، والمعاينة، وليتأكد سليمان أن ما جاء به الهدهد، هو عين الحقيقة، لا يحتمل الشك، أو الظن، وهذا عكس ما لو قال: سمعت فقط، أو تمت المعاينة بالرؤية فقط، فالسمع قد يكذب الرؤية أحياناً، والشيء نفسه قد تكذب الرؤية السمع أحياناً، فبقوله: إني وجدت، يؤكد الهدهد صحة خبره عن بلقيس.

وقال: (امرأة) ولم يقل: (المرأة)، وتنكير امرأة وهو مفعول أول لـ(وجدت) له حُكم المبتدأ، فهو كالابتداء بالنكرة، إذا أريد بالنكرة التعجب من جنسها كقولهم: بقرة تكلمت، لأن المراد حكاية أمر عجيب عندهم أن تكون امرأة ملكة على قوم(٨٥)، أي ليثبت أنه جاء بجديد، عن مَلِكٍ مثله ولكنه ليس رجلاً، مما حفزه إلى الاهتمام بكلام الهدهد، والسماع منه حتى النهاية.

قال: (تملِكهم) بكسر اللام، ولم يقل: (تملُكهم) بضم اللام، ليخبر سليمان أن حكمها كان عادلاً. إن النص القرآني يستخدم كلمة يملِك، بكسر اللام مصدره مِلْك بالنسبة للحكم العدل، في حين يستخدم كلمة يملُك بضم اللام، ومصدره مُلْك، بالنسبة لحكم الظلم والجبروت، كحكم فرعون فقال تعالى على لسانه: (ونادى فرعون في قومه أليس لي مُلْك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون)(٨٦).

قال: (وأوتيت من كل شيء)، ولم يقل: من بعض شيء استعظاماً لما أوتيت، وهذه دلالة على عظم ملكها وقوتها وأنها "أعطيت من كل شيء من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك من أسباب

---

(٨٠) انظر: تفسير الزمخشري ج٥/١٤٤.
(٨١) انظر: تفسير الزمخشري ج٣/١٤٤.
(٨٢) سورة النمل: الآية ٢٣.
(٨٣) تفسير أبي السعود ج٥/٢٨١
(٨٤) ابن عاشور ج١٩/٢٥٢
(٨٥) ابن عاشور: (تفسير التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٥٢.
(٨٦) سورة الزخرف: الآية ٥١.

الدنيا، من سعة المال، وكثرة الرجال ووفرة السلاح والعتاد"(٨٧)، وغيرها مما يُعطاهُ الملوك عادة، ويساعدهم على تثبيت حكمهم، وقوله: (وأوتيت من كل شيء) كأنه يساويها بسليمان عليه السلام لقوله: (وأوتينا من كل شيء)، ولكن هذا يبقى مع الفارق، وتبقى المساواة شكلية، تتفق في عظمة، وضخامة ما أوتي الإثنان، وتختلف في إعجازها وروحانيتها.

فأما ما أوتي سليمان معطوف على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير، فراجع أولاً إلى ما أوتي من النبوة والحكم وأسباب الدين، ثم إلى الملك وأسباب الدنيا.

أما بالنسبة لبلقيس، فإن ما أوتيته -وعلى ضخامته وعظمته- يبقى من أسباب الدنيا الذي لا روحانية فيه، ولا إعجاز، ولا علم، ولذلك بالنسبة لسليمان أعقب قوله: (وأوتينا من كل شيء) قوله: (إن هذا لهو الفضل المبين).

وقوله: (ولها عرش عظيم) أي فخم ضخم يدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة(٨٨).

قال الإمام الطبري: (وعني بالعظمة في هذا الموضع في قدره، وخطره، لا عظمة في الكبر والسعة)(٨٩).

إن في قوله: (ولها عرش عظيم) تذكرة، وموعظة:

أما التذكرة: فتتجلى في أن ما يؤتاه الإنسان، ولو كان مُلكاً، قد يؤتاه غيره في عظمته وضخامته، فلا ضرورة للتكبر والعنجهية.

ما العظمة: فتتجلى في أن ما يؤتاه الإنسان من نعيم الدنيا لا يساوي شيئاً من متاع الآخرة، ومتاع الدنيا -ومهما كان عظيماً- فهو زائل لا قيمة له (والآخرة خير وأبقى)(٩٠)، فلا ضرورة للاغترار والبطر وكفر النعمة، والتعالي على عباد الله.

والسؤال الذي يعرض ذاته في هذا المقام: كيف يستعظم الهدهد عرش بلقيس، مع أنه يعلم أن هناك عرشاً أعظم منه هو عرش سليمان؟! والجواب عن ذلك: أنه يستعظمه على بلقيس وأن يكون لها أو لغيرها عرش مثل هذا، فهذا العرش أعظم مما تستحق مثل هذه المرأة، ولو كانت ملكة، لأن العظمة تبقى لعرش سليمان، وهو النبي قبل أن يكون ملكاً وهو مما لا ينبغي لأحد أن يكون له مثله، وإما أنَّ عرش بلقيس -وهي صاحبة دنيا- كان أعظم من عرش سليمان فعلاً، ولا عجب، فقد يُعطي الله للأمراء ما لا يعطيه للملوك، وللمحكومين ما لا يعطيه للحكام.

ويمكن أن نجمل ما ذكره الهدهد من شؤونهم الدنيوية في ثلاثة أمور:

١. أن ملكتهم امرأة، وهي بلقيس.
٢. أنها أوتيت من الثراء، وأبهّة المُلك، وما يلزمه من عتاد الحرب وآلات القتال الشيء الكثير الذي لا يوجد مثله إلا في الممالك العظمى.
٣. إن لها سريراً عظيماً تجلس عليه، في قصر كبير، رفيع الشأن(٩١).

---

(٨٧) صفوة التفاسير جـ٢/٣٠٩.

(٨٨) سيد قطب: (في ظلال القرآن) جـ١٨/ ٢٧٠.

(٨٩) ابن جرير الطبري: (تفسير جامع البيان) جـ١٩/ ٩٢.

(٩٠) سورة الأعلى: الآية ١٧.

وقال تعالى: "وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون)(٩٢). قال: (وجدتها وقومها)، ولم يقل: وجدتها فقط. واللفظ هنا تكرار للفظ (إني وجدت) في الآية السابقة، بمعنى أنه يكرر تعجبه من هذه المرأة التي تحكم قومها، والذين هم على دينها، فهي وهم يعبدون الشمس، ويسجدون لها، فهي مجوسية وثنية، وهم كذلك، والناس على دين ملوكهم، ووجه العجب أنهم يعبدون الشمس وهي مخلوق، ولا يعبدون الله وهو خالقها، يعبدون مخلوقاً لا يملك من أمره شيئاً ومُسَخّرةُ خالقةُ كنعمة ينعم بها على عباده، تمدهم بالدفء وتعطيهم، ولحيواناتهم، ومزروعاتهم أسباب الحياة، وبدورانها يعرفون عدد السنين والحساب، وبدلاً من أن يعبدوا المنعم خالقها، عبدوها، وسجدوا لها، مع أن هذه الشمس تسجد لله وتطيعه ولا تعصيه، مصداق قوله تعالى: "ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس"(٩٣).

لذا حزّ في نفس الهدهد، وتألم لسجودهم للشمس المخلوق وعدم سجودهم لله الخالق، وحُقَّ له أن يتعجب من ذلك، ولنا أن نتعجب من أن وثنية السجود لغير الله ما زالت مستشرية إلى يومنا هذا؟! في عصر غلبت عليه معالم المدنية، ومظاهر التقدم والحضارة كما يزعمون؟!.

إن وثنية الديانة الهندوسية ما زالت تعبد الشمس وجعلوا من النار إلهاً يتقربون إليه في طقوسهم الدينية، وإلى درجة إلقاء أجسادهم فيها وهم أحياء، أو حرق أجسادهم بعد موتها، وإلقاء رمادهم في نهر الكنج في بلاد الهند رضاءً لله كما يزعمون، وإن وثنية الديانة البوذية ما زالت تعبد الشمس، وكذلك وثنية الديانة الصابئية ما زالت تعبد الشمس، وزادت عليها عبادة النجوم والكواكب مع أن الصائبين أصلاً هم أهل كتاب، والسنة النبوية تأمرنا أن نعاملهم معاملة أهل الكتاب.

إن الشيطان حسّن لهم عبادة الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وبسبب إغوائه; لا يهتدون إلى عبادة الله وتوحيده. ثم قال الهدهد متعجباً: "ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون، الله لا إله إلاّ هو رب العرش العظيم"(٩٤) قال: (ألاّ يسجدوا لله) تُقرأ (ألا) بالتشديد أو بالتخفيف. فإن قرأت بالتشديد يكون المعنى: فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا لله. وإن قرأت بالتخفيف يكون المعنى: ألا يا اسجدوا، ألا حرف للتنبيه، ويا حرف نداء، والمنادى محذوف فيكون تقديره: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله، الذي يُظهر ما هو مخبوء ومخفي في السموات والأرض كائناً ما كان، ويعلم سركم وما تعلنون.

وخُص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات، وتعريف العرش للدلالة على معنى الكمال، ووصفه بالعظميم: للدلالة على كمال العظم في تجسم النفاسة. وقوله: (رب العرش العظيم) تعريض بأن عظمة ملك بلقيس، وعظم عرشها، ما كان حقيقاً بأن يغرّها بالإعراض عن عبادة الله لأن الله هو ربّ الملك الأعظم(٩٥).

---

(٩١) انظر: تفسير المراغي جـ١٩/ ١٣٢.

(٩٢) سورة النمل: الآية ٢٤.

(٩٣) سورة الحج: الآية ١٨.

(٩٤) سورة النمل: الآية ٢٥، ٢٦.

(٩٥) ابن عاشور: (تفسير التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٥٦.

والسؤال الذي يعرض ذاته هنا: كيف يسوّي الهدهد بين عرش بلقيس، وعرش الله في صفة العظمة؟! نترك الإجابة للزمخشري إذ يقول: (بين الوصفين بون عظيم لأن وَصْفَ عرشها بالعظم تعظيم له، بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله بالعظم، تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض)(٩٦).

يا له من هدهد عجيب، صاحب إدراك، وذكاء، وايمان، وبراعة في عرض النبأ... فهو يدرك أن هذه ملكة، وأن هؤلاء رعية، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أن السجود لا يكون إلاّ لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، وأنه هو رب العرش العظيم، وما هكذا تدرك الهداهد؟!.

إنما هو هدهد خاص، أوتي هذا الإدراك الخاص على سبيل الخارقة التي تخالف المألوف(٩٧).

لقد انتهى الهدهد من كلامه، وبدأ سليمان -عليه السلام- الكلام بالرد عليه، فقال تعالى على لسانه: (قال سننظرُ أصدقت أم كنت من الكاذبين. إذهب بكتابي هذا فألقِهْ إليهم ثم تولّ عنهم فانظرْ ماذا يرجعون)(٩٨).

قال: (أصدقت)، ولم يقل: أكذبت، بدأ بتصديقه، ولم يكذبه، وإلى أن يتم التأكد مما أخبره به عن بلقيس وقومها وهذا تعليم لنا كمسلمين أن نفترض في إخواننا الصدق وحسن الظن، وألاّ نبادرهم بالتكذيب، أو إنكار ما يأتون من أقوال، لأن المسلم من شيمته الصدق وعدم الكذب، وقوله (أم كنت من الكاذبين) أبلغ وأجلّ، لأن المعنى من الذين اتصفوا بالكذب وصار خلقاً لهم لأن الهدهد صادق فهو مسلم ومؤمن والمؤمن لا يكذب فلو كان من شيمته الكذب يكون معروفاً، ولا يحتاج إلى القول أصدقت، وبهذا البيان اللغوي: (أصدقت أم كنت من الكاذبين) يُثبت سليمان للهدهد، صدقه وعدم كذبه ولذلك قال: (سننظرُ أصدقت).

يقول الشيخ المراغي: (وفي التعبير بقوله كنت من الكاذبين دون أن يقول أم كذبت، إيذان بأن تلفيق الأقوال المنمّقة، واختيار الأسلوب الذي يستهوي السامع إلى قبولها من غير أن يكون لها حقيقة تعبّر عنها، لا يصدر إلاّ ممّن مرن على الكذب، وصار سجيّة له حتى لا يجد وسيلة للبعد عنه، وهذا يفيد أنه كاذب على أتمّ وجه، ومن كان كذلك لا يوثق به)(٩٩).

ولذلك قال: (سننظر أصدقت) من النظر الذي هو التأمل، والتصفح لما جاء به، ولو كان الهدهد من الكاذبين فلا يوثق به، وبما جاء به، ومن ثَمَّ لا يحتاج خبره وقوله للتأمل والنظر، فكتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد (إذهب ...الآية)، قال: (ألقِهْ إليهم) ولم يقل: أعطهم أو ناولهم، لأن الأليق بالنسبة للطير أنها تلقي من الأعلى، ولا تعطي ولا تناول لأن هذا عمل انساني، فكان التعبير القرآني في غاية الإعجاز في التعبير عن سلوك الطير في إيصال الكتاب إلى بلقيس بالالقاء من الأعلى. وقال: (إليهم) على لفظ الجمع؛ لأنه :(قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس)، فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماماً منه بأمر الدين وانشغالاً به عن

---

(٩٦) تفسير الزمخشري جـ٣/ ١٤٥.

(٩٧) سيد قطب (في ظلال القرآن) جـ١٩/ ٢٧١.

(٩٨) سورة النمل: الآية ٢٧، ٢٨.

(٩٩) تفسير المراغي: جـ١٩/ ١٣٤.

غيره(١٠٠)، ولم يقل: (عليهم) لان فيها شيء من الشدة والثقل، قال: (ثم تولّ عنهم) ولم يقل راقبهم، واقترب منهم حتى لا يُتهم بالتجسس، ولكن حتى لا يفوّت المقصود: توار عنهم إلى مكان قريب، وانتظر جوابهم، وقوله: (يرجعون) من قوله تعالى: (يرجع بعضهم إلى بعض القول)(١٠١).

قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ:

ومن بعد إلقاء الكتاب إليهم من قبل الهدهد تجمع الملكة أشراف قومها، وتقرأ الكتاب عليهم وهو موجز جامع فقال تعالى على لسان بلقيس: (قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين)(١٠٢)

في هذه الآيات الكريمة إيماء إلى: سرعة الهدهد في إيصال الكتاب إليهم، وأن الهدهد قد أوتي قوة المعرفة، فاستطاع أن يفهم بالسمع كلامهم، وأنها ترجمت ذلك الكتاب فوراً بواسطة تراجمتها(١٠٣).

لقد نادت أشراف قومها -وهم أهل مجلسها- بأل الاستغراقية لتخبرهم جميعاً بوصفها حاكمة تشارك، وتعلمُ شعبها بالمستجدات من الأمور، وباللفظ (إني) زيادة في صدق ما تخبرهم به، وتأكيده، أنه أُلقي إليها كتاب كريم، (أُلقي إليّ) تفيد أنها لم تعلم من ألقى إليها الكتاب، ولا كيف ألقاه، ولو كانت تعرف أن الهدهد الذي جاء به، كما يقول بعض المفسرين، لأعلنت هذا الأمر العجيب الذي لا يقع كل يوم، ولكنها قالت بصيغة المجهول، مما يجعلنا نرجح أنها لم تعلم كيف أُلقي إليها ولا من ألقاه(١٠٤).

(وكتاب كريم) أي حَسُن مضمونه وما فيه، ووصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو مختوم فقد قيل: (كرم الكتاب ختمه)، وعن ابن المقفع: من كتب إلى أخيه كتاباً، ولم يختمه فقد استخف به(١٠٥). ولما سئلت عن مصدر الكتاب قال تعالى على لسانها: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) ففي الآية تأكيد (بإن) في الموضعين ليدل على اهتمامها بمرسل الكتاب وبما تضمنه هذا الكتاب. بمعنى أن الكتاب من سليمان، وأنه مُصَدّرٌ باسم الله تعالى وكما جاء عنه صلى الله عليه وسلم: (كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح باسم الله فهو أبتر أو قال اقطع)(١٠٦).

فهو كتاب مبدوء باسم الله الرحمن الرحيم، ومطلوب فيه أمر واحد: ألا يستكبروا على رسله، ولا يعصوه، وأن يأتوا إليه منقادين أو مسلمين الذي يخاطبهم باسمه، فهو لم يدعهم إلى اتباع شريعة التوراة لأنهم غير مخاطبين بها، وكانت كتب الأنبياء جُملاً لا يطيلون فيها، ولا يكثرون.

---

(١٠٠) تفسير الزمخشري: جـ٣/ ١٤٦.

(١٠١) سورة سبأ: آية ٣١.

(١٠٢) سورة النمل: الآية من ٢٩-٣١.

(١٠٣) تفسير المراغي: جـ١٩/ ١٣٥.

(١٠٤) سيد قطب (في ظلال القرآن) جـ١٨/ ٢٧١-٢٧٢ بتصرف.

(١٠٥) تفسير الزمخشري جـ٣/ ١٤٦.

(١٠٦) .رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة، رقم (٨٤٥٩) جـ٢/ ٣٥٨. وقال السيوطي: حسن فيض القدير ١٢/٥.

وهنا تظهر حكمة وعقلانية بلقيس في جذب قومها لها، ليشاركوها الأمر في مثل هذه الأحوال، فقال الله تعالى على لسانها: (قالت يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون)(١٠٧)، وكررت يا أيها الملأ لمزيد العناية بما قالته لهم، والإفتاء: الإخبار بالفتوى وهي إزالة مشكل يعرض، واشتقت الفتوى من: الفتى، صغير السن على سبيل الاستعارة، "والمراد بالفتوى ههنا الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها، من الرأي والتدبير"(١٠٨) حتى ينجلي لهم صواب الرأي فيما تعمل ويعملون لأنها لا تريد أن تستبد بالأمر وحدها، وصيغة (ما كنت قاطعة) تشير بأنَّ ذلك دأبها وعادتها معهم، فقد رجعت إليهم تستفيتهم تطييباً لنفوسهم، واستمالة لقلوبهم، فيكون هذا القول تأكيداً على عدلها في الحكم، ومشورتها في اتخاذ القرار.

ولقد سار الإسلام على نهج العدالة والشورى فقال سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وشاورهم في الأمر)(١٠٩) وقد مدح الله سبحانه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (وأمرهم شورى بينهم)(١١٠).

ولذلك أجابوها متحمسين، مثبتين لها فضلها في مشورتهم، ومثبتين إخلاصهم لها، فقال تعالى على لسانهم: (قالوا نحن أولوا قوة وألوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين)(١١١).

لم يقولوا: (نحن أولوا ضعف أو وهن) ليدل على عادة حواشي الحكام وجنودهم في ممالأتهم ومجاملاتهم لهم، حتى ولو كانوا على غير ذلك، وأدنى، وقد أرادوا بالقوة: قوة الأجساد، والآلات، والعدد وأرادوا بالبأس: النجدة، والبلاء في الحرب، ويجب ألاّ يغيب عن الأذهان، أن حماس وعواطف ومجاملات الحاشية للحاكم، يجب ألاّ يخرجهم عن حدود أدبهم معه، ولذلك فوّضوا الأمر في اتخاذ القرار إلى ملكتهم فقالوا: (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) أي فالأمر موكول إليك ونحن مطيعون لك، نأتمر بأمرك، فأمري بما تشاءين فهم أشاروا عليها بالقتال، وتركوا قراره لها.

إنها أرادت أن تستعين بمشورتهم فلم يمدوها بشيء، ورجعوا الأمر إليها أولاً وأخيراً ولكنها خالفتهم في طموحاتهم القتالية، ورأت أن عدم الاستعجال أفضل، فكانت مثالاً لهم ولغيرهم في حُسن التفكير والتدبير، وهذه شيمة الملك العاقل، فقال تعالى على لسانها لهم: (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون)(١١٢).

إن افتتاح هذه الآية بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر وتحقيقه، فقولها: (إذا دخلوا قرية أفسدوها) استدلال بشواهد التاريخ الماضي، ولهذا تكون إذا ظرفاً للماضي بقرينة المقام كقوله: (وإذا رأو تجارة أو لهواً انفضوا إليها)(١١٣) "وجملة (وكذلك يفعلون) استدلال على المستقبل بحكم الماضي

---

(١٠٧) سورة النمل: الآية ٣٢.
(١٠٨) تفسير الزمخشري: جـ٣/ ١٤٦.
(١٠٩) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(١١٠) سورة الشورى: الآية ٣٨.
(١١١) سورة النمل: الآية ٣٣.
(١١٢) سورة النمل: الآية ٣٤.
(١١٣) سورة الجمعة: الآية ١١.

على طريقة الاستصحاب وهي كالنتيجة للدليل الذي في قوله: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها)"(١١٤).

وقوله: (وجعلوا أعزة أهلها أذلة)، ولم يقل: وأذلوا أعزّة أهلها، مع أنه أخصر، للمبالغة في التصيير والجعل(١١٥).

وهنا تظهر شخصية المرأة، من وراء شخصية الملكة، المرأة التي تكره الحروب والتدمير، فهي تعرف أن من طبيعة الملوك وعادتهم أنهم إذا استولوا على بلدة عنوة، وقهراً خرّبوها، وأذلوا أشرافها وقتلوا سادتها، فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها مؤكدة لهم بقولها: (وكذلك يفعلون) على عادة ملوك الأرض عند النصر فهذه عادتهم المستمرة الثابتة، لأنها ابنة ملك، ومن سلالة الملوك، فقد عدلت عن الحرب إلى المهادنة والمسالمة.

وهنا تتجلى حكمتها في التعامل مع سليمان، فأرادت اختباره بالمال والهدية، أنبيّ هو أم ملِك؟، فإن كان نبياً، لم يقبلها، ولم يرض منا إلاّ أن نتبعه على دينه، وإن كان ملكاً قبل الهدية لأن الهدايا تورث المودة وتذهب العداوة فقالت: (وإني مرسلةٌ إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون)(١١٦).

(وإني مرسلة إليهم بهدية) وهذا تقرير لرأيها، بعدما زيّفت آراءهم، وأتت بالجملة الاسمية، الدالة على الثبات، المصدرة بحرف التحقيق للإيذان بأنها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف(١١٧).

أصل النظم: فناظرة ما يرجع المرسلون به، فغيّر النظم لمّا أريد أنها مترددة فيما يرجع به المرسلون، فالباء في قوله: (بم يرجع المرسلون) متعلقة بفعل (يرجع) قدمت على متعلقها لاقترانها بحرف (ما) الاستفهامية لأن الاستفهام له صدر الكلام(١١٨).

أي مرسلة رسلاً بهدية أصانعه، وأساومه عن ملكي، فناظرة، ما يكون منه حتى أعمل بما يقتضيه الحال.

قال قتادة: ما كان أعقلها في إسلامها وشركها؟! علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس، وقال ابن عباس: قالت لقومها: إن قبلَ الهدية فهو مَلِك يريد الدنيا فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي صادق(١١٩).

يقول الدكتور فضل عباس في كتابه: (قصص القرآن الكريم) بعد أن يذكر الآية الكريمة: ((وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون)): (لقد كان رأياً ينم عن حصافة وفكر ورويّ وحكمة.

---

(١١٤) ابن عاشور (تفسير التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٦٦.

(١١٥) تفسير الآلوسي جـ١٩/ ١٩٨.

(١١٦) سورة النمل: الآية ٣٥.

(١١٧) تفسير أبي السعود جـ٦/ ٢٨٤.

(١١٨) ابن عاشور: (تفسير التحرير والتنوير) جـ١٩/ ٢٥٧.

(١١٩) مختصر تفسير ابن كثير جـ٢/ ٦٧١.

ما أضيع الشعوب التي لا تملك رأياً، ولا تستطيع التصرف حينما تدلهم الحوادث!! وما أضيع الشعوب التي تحرم هذا الرأي، وما أضيع الشعوب التي تسلّم زمامها لفرد أو فئة فلا تستطيع أن تصدر عن شيء)(١٢٠).

وقال تعالى: (فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون)(١٢١).

وبعد أن جاء رسول بلقيس بالهدية العظيمة، قال سليمان مخاطباً للرسول والمرسل، تغليباً للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه، قال: (أتمدونن بمال)، وهذا استفهام إنكاري فيه استهزاء واحتقار للمال مقابل ما أراده منهم، من إيمان وإسلام.

وتنكير مال: للتحقير، ولذلك قال بعدها (فما آتاني الله) والفرق بين الواو والفاء: فإن القول بالواو: (وما آتاني الله) يعني، أنكم تعلمون حالي من الغني واليسار، ومع ذلك تمدونني بالمال، فالواو تكون واو الحال. وأما القول بالفاء: مما آتاني الله، فيعني أنكم لا تعلمون حالي من الغنى والمال وسعة الدنيا، ولا تعلمون ما هو أهمّ منه وأعظم، وهو غناي بالروح والعقيدة والإيمان، ولذلك أُنكرُ فعلتكم لأنكم لم تقدّروا حالي ونبوتي حق التقدير.

وبل: للإضراب الانتقالي، وهو انتقال من انكاره عليهم إمداده بمال، إلى ردّ ذلك المال، وإرجاعه إليهم وتوبيخهم بفرحهم بهديتهم فرح بطر وافتخار، فيكون الإضراب هنا للتنبيه على أن إمداده عليه السلام بالمال منكر وقبيح(١٢٢). فيكون معنى الآية الكريمة: فلما جاءت رسل الملكة بلقيس، بالهدية العظيمة قال منكراً عليهم: أتصانعونني بالمال والهدايا لأترككم على كفركم وملككم؟! فما أعطاني الله من النبوة والمُلْك الواسع خير مما أعطاكم، من زينة الحياة الدنيا، فلا حاجة لي بهديتكم(١٢٣)، وهذا ليس من حالي، بل من حالكم وعادتكم وشيمتكم أن تفرحوا بما يُهدى إليكم من متاع الحياة الدنيا، لذلك فالهدية مرفوضة، لأن سليمان ليس صاحب دنيا، ولذلك كان الردّ بعد الرفض حاسماً فقال تعالى على لسانه لرسول بلقيس: (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها ولنخرجنهم منها أذلةً وهم صاغرون)(١٢٤).قال: (ارجع إليهم) وخاطب المفرد ههنا بعد خطابه للجماعة فيما قبل إما لأن الذي سيرجع هو الرسول فقط أو خصّ أمير الرسل بالخطاب هنا، وخاطبهم فيما سبق، افتناناً بالكلام(١٢٥) (لا قبل لهم) أي لاطاقة، وحقيقة قبل :المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم.

والذل: أن يذهب عزهم، وصاغر: اسم فاعل من صَغُر بمعنى ذلَّ ومصدره الصَّغار، والمراد ذل الهزيمة والأسر، فقد قال لرئيس الوفد: "إرجع إليهم بهديتهم فوالله لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بمقابلتها، ولا قدرة لهم على مقاتلتها، ولنخرجهم من أرضهم ومملكتهم أذلاء، إن لم يأتوني

---

(١٢٠) قصص القرآن الكريم ص٦٥٢. ٦٥٣.
(١٢١) سورة النمل الآية ٣٦.
(١٢٢) تفسير أبي السعود جـ٦/ ٢٨٥.
(١٢٣) صفوة التفاسير جـ٢/ ٣١٢.
(١٢٤) سورة النمل: الآية ٣٧.
(١٢٥) فتح القدير ج٤١/ ١٣٨.

مسلمين"(١٢٦) فيرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً أعزاء مكرمين وبعد أن رجعت رسل بلقيس من عند سليمان، وأخبروها الخبر، قالت: قد عرفت ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وبعثت إلى سليمان إني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك؟.

وقال تعالى: (قال أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين.

قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم)(١٢٧).

ويذكر الإمام البغوي في تفسيره عن سبب أمر سليمان باحضار عرش بلقيس قبل مجيئها فيقول:

"اختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان باحضار عرشها فقال اكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرُمَ عليه أخذه بإسلامها، وقيل: ليريها قدرة الله، وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها، وقيل: لأنه أعجبته صفته لمّا وصفه الهدهد، فأحبّ أن يراه"(١٢٨). والذي نميل إليه هو القول الثاني، والذي رجحه البيضاوي في تفسيره فقال: " أراد بذلك بعض ما خصه الله من العجائب الدالة على عظيم القدرة، وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بأن ينكرّ عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره"(١٢٩).

ومن يقدر على ذلك، غير عفاريت الجن وعُتاتهم، والعفريت هو الشيطان الأخبث، والذي يعفر أقرانه، فقال هذا العفريت أنا أحضره قبل أن تقوم من مجلسك للقضاء والحكم وقيل: كان من الصباح إلى الظهر، وقوله: (وإني عليه لقوي أمين)، قوي: قادر على حمله، وأمين: على ما فيه من جواهر وياقوت وذهب، وغير ذلك، وكأنه يريد أن يثبت لنفسه كفاءة التكليف بالقيام بالأمانة، فذكر أهم صفتين لذلك، وهاتان الصفتان تحبهما النساء في الرجال، وقد نعتت بهما ابنة شعيب موسى -عليه السلام- كما ورد في قوله تعالى: (قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين)(١٣٠).

قال أبو حيان: (وقولها كلام حكيم جامع، لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر من الأمور، فقد تمَّ المقصود)(١٣١).

وكأن سليمان أستطول هذه المدة، فأراد الله تعالى أن يحقق له معجزة ما في نفسه فقال الذي عنده علم من الكتاب ما قال: "وتنكير (علِم) للتفخيم والرمز إلى أنه علمٌ غير معهود"(١٣٢)، وقد اختلف

---

(١٢٦) صفوة التفاسير جـ٢/ ٣١٢.

(١٢٧) سورة النمل: الآيات من ٣٨-٤٠.

(١٢٨) تفسير البغوي جـ٣/ ٤١٩.

(١٢٩) تفسير البيضاوي جـ٥/ ٨٣.

(١٣٠) سورة القصص: الآية ٢٦. وهي صفة عامة في الرجال والنساء بل هما الأساس في كل عمل إداري أو تربوي أو اجتماعي.

(١٣١) ابو حيان: تفسير البحر المحيط جـ٧/ ١١٤.

(١٣٢) تفسير أبي السعود جـ٦/ ٢٨٧.

المفسرون في تحديد اسم الذي عنده علم من الكتاب، والصحيح أن معرفة اسمه لا تفيدنا في شيء، وهي من جملة مبهمات القرآن والتي لم يبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح، وقوله: (قبل أن يرتد إليك طرفك) أي قبل أن يتحرك جفن عينيك عند النظر، فإن أرسلت طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك، ولذلك وبين غمضة عين وفتحتها كان عرش بلقيس حاضراً بين يدي سليمان بقدرة الله وعلمه، ولذلك جاء الكلام بعد ذلك بفعل الماضي على اعتبار ان العرش قد وصل وانتهى الأمر (فلما رآه مستقراً عنده) وما كان موقف سليمان من ربه على مثل هذه النعمة؟ هل تنكر لربه كما يفعل الكافرون؟! هل نسب النعمة لنفسه أو لعلمه؟! أبداً، لقد استشعر سليمان أنه مبتلى من ربه، ولذلك قال: (هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر...) إلخ، وهذه شيمة الأنبياء والمخلصين يتلقوْن النعم بحسن الشكر وجميل العرفان.

وهنا يأتي دور سليمان في اختبار ضيفته (بلقيس) التي حضرت بعد حضور عرشها، فأراد أن يختبر ذكاءها وفطنتها، وكيف ستجيب عندما تُسأل عن عرشها بعد أن يغيّروا معالمه، ويجعلوه متغيراً عن هيئته وشكله، فقال تعالى على لسانه: (قال نكرّوا لها عرشها ننظرْ أتهدي أم تكون من الذين لا يهتدون. فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين)(١٣٣).

وقوله: (ننظرْ) بالجزم على أنه جواب الأمر، وقرىء بالرفع على الاستئناف وقوله: (أتهتدي) أي لمعرفته، وقوله: (من الذين لا يهتدون) أبلغ من انتفاء الاهتداء من: لا تهتدي، أي لا تعرف عرشها، وقد طُوي خبرُ ارتحالها، إذ لا غرض مهما يتعلق به في موضع العبرة، وقوله: (أهكذا عرشك) ولم يقل: أهذا عرشك؟ لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير، وهو الاختبار لعقلها، وتتكوّن (هكذا) من حرف التنبيه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة ومعناه أمثل هذا عرشك؟ وفي قولها: (كأنه هو) عدول عن مطابقة الجواب للسؤال بأن تقول هكذا هو، نكتة حسنة(١٣٤)، أي يشبهه ويقاربه، وجوابها هذا يحتمل إجابتين: نعم، لا.

فهي لم تقل: نعم، لأنه لو كان غير ذلك لاتهمت بالغباء لكونها لا تعرف عرشها، وهي أيضاً لم تقل: لا، لأنه لو كان هو لاتهمت أيضاً بالغباء لأنه عرشها فعلاً وجوابها: (كأنه هو) ينبىء عن رجاحة عقلها، حيث لم تقطع في المحتمل، أي لم تجب جواباً قاطعاً في أمر يحتمل الاجابتين: نعم، لا، فأجابت إجابة تحتمل الاجابتين كلتيهما، وهي وقد أصابت في جوابها، وظهر أنها عاقلة لبيبة، ويرجى فيها الخير، قال ابن كثير: وهذا غاية في الذكاء والحزم(١٣٥). وقال الشوكاني في تفسيره (فتح القدير). قال عكرمة: (كانت حكيمة، قالت: إن قلت هو هو خشيت أن أكذب، وإن قلت لا، خشيت أن أكذب فقالت كأنه هو(١٣٦)، وعلم سليمان أنها ستقبل دعوته لها للإسلام، فجاء قوله تعالى على لسانه (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) فهو من قول سليمان عليه السلام، أي قال ذلك تحدثاً بنعمة الله: لقد أوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله وبقدرته، وكنا مسلمين لله من

---

(١٣٣) سورة النمل: الآيات ٤١-٤٣.

(١٣٤) انظر: هامش تفسير الزمخشري جـ٣/ ١٤٩.

(١٣٥) تفسير ابن كثير جـ٢/ ٦٧٣.

(١٣٦) الشوكاني (فتح القدير) جـ٤/ ١٤١.

قبلها، فنحن أسبق منها علماً وإسلاماً(١٣٧) وما دامت بلقيس على هذه الدرجة من الذكاء والعلم، فلماذا لم تكن مسلمة، وتكفل الله بالإجابة عن هذه التساؤلات بقوله: (وصدها ما كانت تعبد من دون الله أنها كانت من قوم كافرين) أي وصدها عن الإسلام، عبادتها القديمة للشمس، وأنها نشأت في قوم كافرين لم تصلها دعوة الإسلام بعد.

أراد سليمان عليه السلام أن يري ضيفته بعض معجزات الله، ونعمه عليه، وكان قد أعدّ للملكة مفاجأة أخرى، وهي قصر عظم، من البلور المملّس، أقيمت أرضيته فوق الماء، وظهر كأنه لُجة -أي ماءً غمراً عظيماً- فرأت هذه النعم ليكون بعد ذلك إسلامها، فقال تعالى: (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت ربّ إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)(١٣٨).

قيل لها ادخلي(١٣٩) القصر العظيم، فلما رأت ذلك الصرح الشامخ حسبت أنها ستخوض في تلك اللجة، فكشفت عن ساقيها حتى لا يبتل ثوبها بالماء، فكان تصرفها حسناً، ولائقاً بالحال، فلما تمت المفاجأة، قال لها سليمان إنه قصر مملّس من الزجاج الصافي، فانبهرت مما رأت من معجزات وآيات علمت منها أن سليمان صادق، فيما دعاها إليه، وأنه مؤيد من الله تعالى، وعلمت أن دينها ودين قومها باطل، فاعترفت بأنها ظلمت نفسها في اتباع الضلال بعبادة الشمس، فرجعت إلى الله وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره، معلنة إسلامها، (مع سليمان) لا لسليمان، ولكن لله رب العالمين، فعرفت أن الإسلام لله، ليس استسلاماً لأحد من خلقه، ولو كان هو سليمان النبي الملك صاحب المعجزات، إنها لم تقل: وأسلمت لسليمان، لأنها علمت أن إسلامها يجب أن يكون لربها، وليس لأي مخلوق، وهكذا قال سحرة فرعون، بعد أن منّ الله عليهم بالإسلام (قالوا آمنا برب العالمين ربّ موسى وهارون)(١٤٠) وهكذا انتهت قصة سليمان -عليه السلام- مع بلقيس، ولكن بخاتمة حسنة، حيث كل الشواهد الواردة في الآيات كانت تدل على هذه الخاتمة، لأن بلقيس كانت عاقلة حكيمة، وتلك من سمات المؤمنين، ودائماً تقود إلى الإسلام، في حين العناد والجهل والاستكبار، سمة الكافرين ويقود إلى الكفر غالباً.

ويمكن أن نجمل هذه المواقف الحسنة للملكة التي تستحق الذكر والتنويه بها وهي:

١. وصفها لكتاب سليمان -عليه السلام- الذي أرسل إليها بأنه كتاب كريم.

٢. مشورة قومها واستفتاؤّا لهم، وأنها لا تقطع أمراً دونهم وخاصة في القضايا المصيرية التي تتعلق بمصلحة الأمة والوطن وهذه سمة من سمات العدل في الحكم.

٣. محاولة إغراء سليمان بالمال والهدية ومصانعته بها وكسب وده فتبقى في حكمها ثم اختباره بها هل هو ملك يقبل الهدية فتستعد لقتاله أم نبي فيردها؟ ولا يقبل منهم إلاّ الإسلام وهذا دليل على حصافتها وفطنتها.

---

(١٣٧) صفوة التفاسير جـ٢/٣١٤.

(١٣٨) سورة النمل: الآية ٤٤.

(١٣٩) وذكر الدخول يقتضي أن الصرح مكان له باب.

(١٤٠) سورة الشعراء: ٤٧، ٤٨.

٤. ثم جوابها السديد الحكيم حينما سئلت عن عرشها بعد تغيير معالمه وشكله، أهكذا هو؟ فإجابات قائلة: كأنه هو، فهي لا تجيب بالنفي أو الإيجاب.
٥. كشفها عن ساقيها بعد دخولها الصرح العظيم الممرد بالبلور، بعد أن ظنت أنها تخوض في الماء، حتى لا تبتل ثيابها بالماء فتتهم بالغباء.
٦. خاتمتها ونهايتها الحسنة بعد أن أدركت أن ما أعطي سليمان عليه السلام، ليس هو من قبيل ما يُعطى ملوك الدنيا وإنما هو مُلْكٌ ونبوة، ومعجزات خارقة وحيئنذ تكون المفاجأة الكبرى فتدرك خطأها في عبادة غير الله، وتعلن اسلامها مع سليمان لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً على نعمه وفضله، وعلى إتمام هذا البحث وبعد:

فلقد تحدّى الله العرب بالقرآن كله، وتناول هذا التحدي غيرهم من الأنس والجن مجتمعين، ثم تحداهم بعشر سور مثله، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، فعجز العرب عن معارضته مع توفر دواعي اللسان وقوة البيان، وعجز العرب عجز لغيرهم من باب أولى، وسيظل هذا الإعجاز قائماً ومستمراً على مر العصور إلى يوم الدين.

هذا، وإن الله تبارك وتعالى لم يذكر القصص في القرآن الكريم عبثاً وتسلية، وإنما ليكون أمثالاً وعبراً تضرب للعقلاء لينتفعوا بها، وقد جاء بحثنا ليؤكد وجود ذلك في بعض قصص القرآن الكريم الذي انتهينا فيه إلى النتائج الآتية:

١. ان آيات هذه القصة حوت إعجازاً بيانياً، فبينت من خلال هذا البحث: أن الحرف معجز في موضعه الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة، وأن الكلمة أيضاً في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة، وأن الجملة كذلك في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية، فالقرآن معجز في بيانه ونظمه، وألفاظه وأسلوبه، وحيثما قلّب الإنسان نظره في القرآن وجد أسراراً عجيبة من الإعجاز البياني التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر.
٢. إعجاز هذه الآيات الكريمة في مقتضيات الحال في ألوان البيان، في الجمل الإسمية، والفعلية، وفي النفي والإثبات، وفي الذكر والحذف، وفي التعريف والتنكير، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز، وفي الإطناب والايجاز، وفي العموم والخصوص، وفي الاطلاق والتقييد.
٣. ما تضمنته هذه القصة من دروس وعبر ومواعظ متعددة أهمها:

أولاً: ما تضمنته هذه الآيات من دلالات وإشارات، لأصحاب الجاه والسلطان، والعظماء والملوك والمسلمين عموماً في هذا الزمان أن يتأسوْا بنبي الله سليمان -عليه السلام- فقد اتخذ هذا النبي الكريم من الملك، وسيلة للدعوة إلى الله فلم يترك في زمنه حاكماً جائراً، ولا ملكاً كافراً إلاّ دعاه إلى الله تعالى، وهكذا كان شأنه مع ملكة سبأ -بلقيس- حتى تركت عبادة الشمس من دون الله، وأتت مع جندها خاضعةً مستجيبة لدعوة الله.

ثانياً: الاتعاظ بحال هذه الملكة، وهي بلقيس إذ لم يصدها علوّ شأنها، وعظمة سلطانها، مع ما أوتيته من سلامة الفطرة، وذكاء العقل، عن أن تنظر في دلائل صدق الداعي إلى التوحيد وهو سليمان عليه السلام، وتؤمن بفساد الشرك، وتعترف بالوحدانية لله عز وجل، لذا فما

يكون من إصرار المشركين على شركهم في هذا الزمان وغيره، بعد أن جاءهم الهدى من ربهم، إلاّ لسخافة عقولهم، أو لعمايتهم عن الحق، وتمسكهم بالباطل والضلال.

ثالثاً: الاتعاظ بحال النملة التي وعظت بني جنسها لأخذ الحذر والحيطة من الخطر الداهم، والأخذ بأسباب الأمان، وكيف أن النمل أجمعت أمرها على الفرار خوفاً من الهلاك، كما تجتمع على المنافع، ثم لنا في مملكة النمل لعبرة أخرى، وهي كيف أن هذه المملكة تسودها مبادئ التكافل والتعاون، ومعالم الجدية، والإخلاص في العمل، وحسن الإتقان والتنظيم والضبط، بعيداً عن الكسل والخمول، ثم ما رأيناه من مبدأ حسن الظن عند النملة الواعظة، والتماس العذر للآخرين.

والحق إن أيّ أمة لا تصل في تدبيرها إلى مثل ما يفعله هذا الحيوان الأعجم تكون أمة حمقاء، وهي أدنى حالاً من الحشرات.

رابعاً: التأسّي والاقتداء بسلمان وأبيه داود -عليهما السلام- في حمدهما لله على ما أوتياه من العلم والفضل والنبوة والملْك اعترافاً منهما بنعم الله الجليلة عليهما، وأنهما عدّا ذلك ابتلاءً وامتحاناً لهما. فكانا من الحامدين الشاكرين لله ولم يكونا من الجاحدين، والتأسي كذلك في صفات سليمان الحميدة، والتي تتجلّى في تقواه ورحمته وعدله، وعدم طغيانه، وكذلك جنوده، فقد أعطاه الله من أسباب الحكم والقوة ما لم يعطه الملوك الآخرين، ومع ذلك كان رحيماً، غير مسيء إلى أيّ من المخلوقات حتى ولو كانت حشرات كالنمل، (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون).

خامساً: إنَّ تفقد الجند والرعية والعمال هو من واجبات ولاة الأمور، وهو من شعار الملوك والأمراء، ثم يؤخذ من ذلك جواز عقاب الجندي إذا خالف ما عُيّن له من عمل، أو تغيب عنه، ثم أخذ الأمور بالشدة والحزم وعدم التهاون، وخاصة حينما تكون القضية ليست فردية أو شخصية، وإنما قضية أمّة، أو قضية مملكة، وإلاّ عمت الفوضى، وحصل مالا يُحمد عقباه.

سادساً: إن ما أعطي سليمان -عليه السلام- من فهم لغة الطير وغيرها من الديدان والحشرات والحيوان، كان علماً خاصاً به عن طريق المعجزة الخارقة، لا عن طريق المحاولة منه والاجتهاد، وأن ما توصل إليه العلماء في هذا العصر من فهم لغة الطير وغيره عن طريق الحدس والتخمين ولا يمكن أن يصل إلى يقينية الإعجاز الخارقة التي تحققت لنبي الله سليمان، والتي أخبرنا الله عنها قبل خمسة عشر قرناً من الزمان.

سابعاً: إنَّ هذا الكون كله بما فيه من مخلوقات ساجد ومسبح بحمده، وخاضع لأمره، عدا الثقلين -الأنس والجن- فمنهم الطائع، ومنهم العاصي، ومنهم المستجيب لأوامر الله تعالى، ومنهم المعرض عنها المتمرد عليها جعلنا الله من المستجيبين لأوامره، المبتعدين عن نواهيه بفضله ومنّه وكرمه.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، وبهامشه حاشية أبي الفضل المشهور بالكازروني، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع.

٤. البحر المحيط، عبد الله بن محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، ط الأولى، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٠هـ.

٥. تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن عمر ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣.

٦. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥.

٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهيري النجار، الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٩٩٨.

٨. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط٣، ١٩٦٨.

٩. الجامع لاحكام القرآن، محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٩٩٠.

١٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن شكري الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق ابراهيم عطوة، دار إحياء التراث العربي.

١٢. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٩٨٧.

١٣. صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني.

١٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري ومعه كتاب الانتصاف لأحمد بن محمد بن المنير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية ١٩٨٧.

١٦. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢.

١٨. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٩٧١.

١٩. قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

٢٠. مختصر ابن كثير، اختصار محمد علي الصابوني، ط٧، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١.

٢١. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، اعداد خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٩/١١/٢٣.